الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور-خنشلة-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
التخصص: نقد حديث ومعاصر

سوسيولوجيا القراءة عند "حبيب مونسي"

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
- سارة بن نجاح
- عبير بودعوش

إشراف الأستاذة:
- نصيرة مسعودي

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عليمة حمزاوي	محاضر أ	عباس لغرور-خنشلة-	رئيسا
نصيرة مسعودي	مساعد أ	عباس لغرور-خنشلة-	مشرفا ومقررا
سارة مسعودي	محاضر ب	عباس لغرور-خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2023 / 2024

شكر وعرفان

بعون الله وتوفيقه بحقبة عام كامل، وجهود مضت أكملت المذكرة، فالحمد لله حمدا كثيرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، له الثناء والشكر، كما ننتهز الفرصة للتقدم بجزيل الشكر إلى الاستاذة المشرفة "نصيرة مسعودي" حفظها الله ورعاها وجعلها دوما نبراسا للعلم والمعرفة.

الشكر الجزيل إلى كل من علمنا حرفا إلى كل من كان سببا فيما نحن عليه، جزاهم الله خيرا، وأبقاهم شعلة لنور العلم.

كذلك الشكر الجزيل إلى كل من أعاننا حتى ولو بدعوة في انجاز هذا العمل، سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيد خلق الله أجمعين

الإهـــداء

"من قال أنا لها نالها"

نلتها وعانقت مجدا عظيما، كانت دروبا قاسية، وطرقا خسرت بها الكثير لكنني وصلت

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الحمد لله الذي بفضله أدركت أسمى الغايات

أنظر لنفسي ولنجاحي كالذي ينظر إلى معجزته، إلى الحلم الذي طال انتظاره تحقق بفضل الله وأصبح واقعا أفتخر به.

إلى العزيز الذي حملت اسمه فخرا وزين اسمي بأجمل الألقاب إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة، سندي وقوتي وملاذي بعد الله فخري واعتزازي "والدي" الغالي شفاه الله وأطال في عمره.

إلى "أمي" حبيبتي التي لطالما كانت دعواتها سر توفيقي ونجاحي أدام الله فضلها ورزقها الصحة والعافية

إلى خيرة أيامي وصفوتها إلى من مدت أيديها وقت ضعفي وآمنت بقدراتي إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي أختي "خولة"

إلى أختي وزوجها وابنتهما الكتكوتة "إسراء"

إلى من رزقت بهم سندا إخوتي "عماد- شمس الدين- عبد الله- عبد الحكيم"

إلى الدكاترة الأفاضل شكرا لكل من علمني حرفا.

سارة

الإهداء

إلى أمي وأبي..... إحسانا وعرفانا.

إلى من تنحني لهم أناملي قدرا ويعجز قلمي ذكرا .إخوتي **إياد وفؤاد**، إلى أخواتي **أسماء خولة وأحلام** إلى زوجها حمزة وابنتيها **رزان وريتال**.

إلى كل من دعا لي التوفيق وتمنى لي النجاح وشجعني وحفزني.

بارك الله فيكم..... جزاكم كل خير..... وشكرا جزيلا

إليكم جميعا..... أهدي ثمرة هذا الجهد.

عبير بودعوش

مـــقدمة

مقدمة:

أفرزت التحولات المعرفية في الساحة النقدية الغربية العديد من التيارات والمناهج النقدية. كانت بدايتها بالمناهج السياقية، واهتمامها بالسياقات الخارجية المنتجة للنص، من تاريخ، ومؤلف وقضايا، اجتماعية وغيرها، مرورا بالمناهج النصية النسقية، واهتماما باللغة والنص في ذاته ولذاته، ولاشيء خارج النص باعتباره بنية مغلقة، وقد عرفت البنيوية كأهم اتجاه نقدي في هذه المرحلة، باعتبارها أكثر المناهج النصية صرامة من حيث اهتمامها بالنص وإقصائها لطرفي العملية الإبداعية وهما المؤلف والقارئ.

تغير مسار الدراسات النقدية بعد أفول نجم البنيوية وعجزها عن تحقيق أهدافها، من مرحلة البنيوية (الحداثة)، إلى مرحلة أخرى عرفت بمابعد البنيوية (ما بعد الحداثة)، وقد تميزت الاتجاهات النقدية التي مثلت مرحلة ما بعد البنيوية، بالاهتمام بقطب، لطالما أهمل في المراحل السابقة واعتبر عنصرا ثانويا في العملية الإبداعية وهو القارئ.

عدت نظرية القراءة والتلقي أهم اتجاه نقدي في مرحلة مابعد البنيوية، من حيث اهتمامها بالقارئ، ومن ثنايا نظرية القراءة انبثق توجه نقدي لا يهتم بعلمية القراءة فحسب بل بمرحلة ما قبل القراءة، وهو اتجاه يهتم بكيفية تجهيز المنتوج الأدبي من أجل استهلاكه واقتنائه من طرف القارئ. وهو ما عرف بسوسيولوجيا القراءة

لم يكن الناقد العربي بمنأى عن التحولات النقدية التي عرفتها الساحة النقدية الغربية محاولا مواكبة كل جديد، لإثراء الدرس النقدي العربي، وكما عرفت المناهج النقدية السابقة طريقها إلى الناقد العربي، فقد حاول بعض النقاد العرب الترويج لما عرف بسوسيولوجيا القراءة ومن أهمهم نذكر الناقد الجزائري " حبيب مونسي "، وعلى هذا الأساس جاءت دراستنا موسومة بـ: "**سوسيولوجيا القراءة عند حبيب مونسي**".

يطرح الموضوع عدة إشكالات يمكن صياغتها كما يلي: ما هو تصور حبيب مونسي للقراءة؟ وماهي رؤيته لسوسيولوجيا القراءة؟ وكيف كانت وجهة نظر الناقد في ذلك؟

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فقد كانت متنوعة بين الذاتية والموضوعية ويمكن تحديدها فيما يلي:

1-أسباب ذاتية:

رغبة منا لإثراء هذه القضية النقدية، التي تكاد تنعدم الدراسات حولها وكذا الرغبة لإشباع فضولنا، واكتشاف مفهوم سوسيولوجيا القراءة، وعوامل بروزها كاتجاه نقدي معاصر.

2-أسباب موضوعية:

يتعلق السبب الموضوعي الأول، بسوسيولوجيا القراءة كاتجاه نقدي جديد فرض نفسه في الساحة النقدية الغربية والعربية على حد سواء، مما يغري الباحث لفك شفرات مفاهيمه، ومعالمه عند الغرب

أما السبب الموضوعي الثاني، فيتعلق بالناقد "حبيب مونسي"، وهو ناقد يتميز بدقته في تناول القضايا النقدية وقدراته المتميز في تحليل الظواهر المطروحة المبنية على قناعاته الفكرية والمعرفية الخاصة.

وللإجابة عن الإشكاليات السابقة، ورغبة منا في إثراء هذا الموضوع، قسم البحث إلى فصلين ومدخل. ليختم بخاتمة جمعت فيها أهم نتائج الدراسة.

المدخل، عنون ب: **حضور القارئ في الدراسات النقدية الغربية**

ناقشنا في هذا الجزء من البحث، حضور القارئ وغيابه في مسار الدراسات النقدية الغربية، باعتباره العنصر الأساس في سوسيولوجيا القراءة. تمهيدا للفصل الأول

أما الفصل الأول جاء تحت عنوان: **سوسيولوجيا القراءة. المفهوم والنشأة**

تطرقنا فيه إلى المفهوم، والأصول الفلسفية والنقدية، تليها قراءة في نشأة سوسيولوجيا القراءة، وتبلورها كاتجاه نقدي يهتم بدراسة وتحليل العلاقة بين النص والقارئ.

الفصل الثاني المعنون ب: "**تجليات سوسيولوجيا القراءة عند حبيب مونسي**" وهو جزء تطبيقي. ناقشنا فيه فعل القراءة عند الناقد، والخلفيات التي اعتمدها لإعطاء تصور للقراءة كمفهوم حضاري، كما تناولنا مفهوم سوسيولوجيا القراءة عند "حبيب مونسي" وأهم خصائصها، ثم تطرقنا إلى جملة من القضايا التي تناولها الناقد في إطار سوسيولوجيا القراءة، وهي: الأدب مؤسسة اجتماعية، الأدب إنتاج وعلاقة الكتابة بالقراءة، أنماط القراءة عند "حبيب مونسي"، وأخيرا القارئ عند "حبيب مونسي".

ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم نتائج المتوصل إليها من خلال رحلة البحث.

اعتمدنا في بحثنا ما قدمه **نقد النقد** من آليات لقراءة النصوص النقدية، مستندين في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- نظريات القراءة في النقد المعاصر لـ "حبيب مونسي"
- سوسيولوجيا الأدب لـ"روبير اسكاربيت".
- نظريات القراءة في النقد الأدبي لـ"جميل حمداوي".

وفي رحلتنا لهذه الدراسة واجهتنا عدة صعوبات منها:

انعدام الدراسات حول هذا الموضوع، وصعوبة الإمساك بالجذور التأصيلية لسوسيولوجيا القراءة باعتبارها اتجاه نقدي حديث الولادة إضافة إلى صعوبة أسلوب الكاتب "حبيب مونسي" وغموضه في أغلب الأحيان.

وفي الأخير نقول بأن هذا الجهد البسيط ماهو إلى ثمرة عمل وتعاون جاد مع الأستاذة المشرفة "نصيرة مسعودي" التي شاركتنا هذا الدرب بتوجيهاتها القيمة وتصويباتها السديد ولم تتخاذل في تزويدنا بكل ما يخدم بحثنا من قريب أو من بعيد. كما نتقدم في ختام هذه المقدمة بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا البحث، من دائرة الظلام إلى دائرة النور.

المـدخـل:

حضور القارئ في الدراسات النقدية الغربية

يعتبر القارئ في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة مكون أساسي في العملية الإبداعية، فالمؤلف وهو في لحظة كتابته للعمل الأدبي يستدعي القارئ في ذهنه. وقد بدأ الاهتمام بالقارئ والقراءة قبيل ظهور نظرية التلقي، إلا أن هذا الاهتمام لم يبلور في شكل تصور منهجي. ويمكن توضيح مدى حضور عنصر القارئ في الدراسات النقدية الغربية

يمكن القول أن الاهتمام بالقارئ يمتد إلى الفلسفة اليونانية، حيث أولى المفكرون اليونان عناية بالقارئ بناء على مفهوم " المحاكاة"، وذلك من خلال إحداث الشفقة والفزع في المستمع لتؤدي به إلى التطهير، لهذا «كان اهتمامهم بالقارئ في نطاق الأثر التي تحدثه المؤلفات الفنية في متقلبيها..... وقد كان لكل المدارس النقدية ولكل النظريات الأدبية وقوف يتفاوت تركيزا وعمقا، على غاية الفن ما هي، وسواء أكانت الغاية من الفن هو موعضة أخلاقية أو عبرة أو حكمة أو متعة جمالية، فإن المتعض والمعبر والمتمتع إنما هو دائما وأبدا القارئ الذي تتجه إليه المؤلفات الأدبية بالخطاب. »[1]. وعلى الرغم من حضور القارئ، كمشاهد ومستمع في الفكر اليوناني، إلا أن دوره كان تابعا للعمل الأدبي

اتسمت مرحلة ما قبل البنيوية، بالاهتمام بخارج النص، والذي تمثله السياقات الخارجية، وما النصص إلا انعكاس لتلك المؤثرات، أما عن القارئ فقد غيب، وصنف كعنر ثانوي مهمته قراءة النص.

ومنه يتبين جليا سلطة النص والكاتب والتعالي الواضح على القارئ، الذي اعتبر مستهلكا أو بتعبير أخر "أداة " للوصول إلى الدلالة الخفية وراء هذا النص.

القارئ. مرحلة البنيوية

درس الشكلانيون الروس الأدب في ذاته ومن أجل ذاته وعزلت النص عن كل السياقات الخارجية (التاريخية، الاجتماعية، النفسية)، كما نادوا بميلاد علم جديد للأدب

[1] حسن الواحد، في المناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، تونس، 1984، ط1، ص: 69.

يدعى الشعرية «وموضوع هذا الأدب سوف لن يكون الأدب كمفهوم عام لكن أدبية الأدب.»[1]

متجاوزين بذلك التصورات القديمة للأدب «لقد دخلوا أيضا في نقاش حاد مع من عاصرهم من نزعات ربطت بصلة أو بأخرى الآثار الأدبية بسياقاتها التاريخية، ناقش الشكلانيون النزعة الماركسية اللبنية لأنها تصدر عن مفاهيم تحتم علاقة الأثر الأدبي بواسطة الاجتماعي على مستوى الانعكاس، لأنها ترد الأثر إلى الفكرة فيها تنقلها من لغة الفن إلى لغة علم الاجتماع والفلسفة »[2]

كما أقروا أن النص يتحمل عدة قراءات لا بحسب تتنوع واختلاف قرائه بل بفضل اللغة وتعدد دلالاتها وصياغاتها وإمكانياتها الخلاقة. وهكذا كان التصور عند الشكلانيون الروس والبنيوية والنقد الجديد تنصب في وصفه موضوع مستقل له جذوره الخاصة وكيان منفصل تماما عن أي عامل خارجي القارئ أو المجتمع أو المؤلف يتم دراسته بشكل محايد وصفي للكشف عن أنساقه وبياناته الداخلية وفك شفراته.

حيث يؤكد "تودوروف" في سياقه الدفاع عن الشعرية البنيوية والنقد الداخلي حيث للنص الأدبي: «أن الهدف الأساسي من التغيير والتأويل أو القراءة أو التحليل أو النقد هو جعل النص يتكلم بنفسه، وحديث النص بنفسه لا يتم إلا على حساب التخلي عن الذات، مؤلفة كانت أم قارئة.»[3]

القارئ. بعد المرحلة البنيوية

برز الاهتمام الفعلي للقارئ مع النظريات النقدية الجديدة كرد فعل على إهمال السياق الخارجي والاهتمام بالنص ذاته، فالأثر الأدبي يبقى في استمرارية بفضل القارئ تلقيا

[1] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ط3، ص: 13.

[2] حسن الواحد، في مناهج الدراسات الأدبية، ص: 13.

[3] نادر كاظم، مقامات والتلقي، دار الفارس، الأردن، 2003، ط1، ص ص: 25، 26.

واستقبالا وتأويلا: «فأثار الأدبية لا تكتب فحسب انطلاقا من أوضاع اجتماعية وتأثرا بعوامل تاريخية، لا تكتب حسب الخصائص إبداعية وأشكال أسلوبية فقط، بل هي تكتب على وجه الخصوص لقارئ ولجمهور يتجه بها أصحابها إليه.»[1]

يبرز الفيلسوف الوجودي جون بول سارتر الانشغال بالقارئ حيث خصص في كتابه ما الأدب ؟ يوضح فيه العلاقة التفاعلية بين الكتابة والقراءة فالعمل الأدبي ليس بوسعه أن يمتلك المعنى إلا عندما يكون قد قرئ لهذا فجهد المؤلف يعادل جهد القارئ يقول: «القارئ الذي يضفي على العمل الأدبي صفة الوجود المطلق بإنتاجه إياه عن طريق القراءة.»[2] فالقارئ يضمن استمرارية الإنتاج الأدبي في الحاضر والمستقبل.

كما ظهر في الساحة النقدية توجه نقدي هو نظرية الاستقبال (أو استجابة القارئ) والتي أولت اهتمامها المطلق بالقارئ باعتباره قطب أساسي في إعادة إنتاج النص كما له دور فعال في قراءة النص وتأويليه وتحديد معاينة متجاوزين بذلك النظريات الأدبية السابقة التي كثيرا ما حاولت أن تصب اهتمامها على العمل الأدبي أو المؤلف إلى أن القارئ كثيرا ما كان يتنازل عن دوره وأهميته.

والاهتمام بالقارئ ارتبط بالكثير من التوجهات النقدية الحديثة كالنقد النسائي أو النظرية النفسية والفلسفة الظاهرتية.....الخ

ركزت نظرية الاستقبال على سياقات النص المتعدد التي تقضي إلى إنتاجه واستقباله وتلقيه «ومن هنا استقبال النص يستنتج الاهتمام بالقارئ وبعملية القراءة وتحديد معنى النص وتأويله.»[3]

---

[1] حسين الواحد، في مناهج الدراسات الأدبية، ص: 68.

[2] جون بول سارتر، ما الأدب، تر: الدكتور محمد غنيمي هلال، القاهرة مصر، د، ط، ص: 40.

[3] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 2002، ط3، ص: 283

كما نجد الاهتمام الفعلي بالقراءة مع الطرح السوسيولوجي في إطار الأدب الماركسي الذي أولى عناية بثنائية الأديب والمجتمع وتزايد ذلك مع ظهور نظرية الإنتاج التي اعتبرت أن المؤلف منتج والقارئ مستهلك وأكدت كل العلاقة الجمهور بالقراء.

تعد القراءة عند المفكرين المتأثرين بالمذهب الماركسي «فعل خلاف لا يقبل تأثيرا في عملية الإنتاج من تأثير الكتابة نفسها » [1]

أي أن الفعل الاستهلاكي جزء من الإنتاج فالقارئ هنا يشارك في إعادة إنتاج الصنيع الأدبي فهو منتج ومستهلك في أن واحد كما أقروا المفكرون الماركسيون الجدد من خلال نظرية الاستهلاك الماركسية أنه من الضروري العناية الضروري العناية بالجمهور القارئ وظروف القراءة في التعامل مع الأثر الأدبي فالاقتصار على دراسة ظروف الإنتاج فحسب لا يمكنه وحده من فهم الأعمال الأدبية.»[2]

عرف النقد المعاصر الحداثة النقدية، انطلاقا من المناهج السياقية وصولا إلى المناهج النسقية، لتليها مرحلة ما بعد البنيوية الحاملة لشعار موت المؤلف وإعلان سلطة القارئ إلى جانب تنظيرات مدرسة كونساتس الألمانية وكذلك جهود كل من هانس روبير ياوس وولف غانغ ايزير.

«ويمكن النظر إلى مدرسة كونستانس على أنها من المجالات الرائدة لتجديد دراسات النصوص على أسس نظرية القراءة والتلقي، فهذه النظرية حركت مثلث الأدب " النص، الكاتب، القارئ " من الكشف العلاقة بين النص ومبدعه، ومن النص ومبدعه، من النص مع بنيته إلى العلاقة بين القارئ والنص وهذه العلاقة الأخيرة هي محور دراسات نظرية التلقي، وعلى إثرها تفرعت هذه المدرسة إلى منهجيين يتميز إحداهما عن الأخر، فالمنهج الأول مثله

[1] حسين الواحد، في مناهج الدراسات الأدبية، ص: 73.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص: 73، 74.

هانس روبرت ياوس الذي اهتم بجمالية التلقي، والمنهج الثاني اهتم بجانب التأثير بين القارئ والنص الذي يمثله ولفغانغ ايزير »[1]

أي أن هذه المدرسة وجهت كل اهتمامها نحو العلاقة الموجودة بين النص والقارئ وتناولت هذه العلاقة بوجهتي نظر مختلفتين، فالأولى تدعى "جمالية التلقي " عند ياوس وجمالية التأثير عند ايزير.

1-هانز روبرت ياوس

يعتبر الرائد الأول حيث يعد «أحد أساتذة جامعة كونستانس الألمانية في السيتينات، من الرواد الذين اضطلعوا بإصلاح مناهج الثقافة والأدب في ألمانيا باحث لغوي رومانسي، متخصص في الأدب الفرنسي متطلع إلى التجديد في مقارنة الأكاديمية، فكان هدفه المعلن منذ البداية هو الربط بين دراسة الأدب والتاريخ، على أساس النماذج الأدبية يستوحي خلاصة التجارب الإنسانية.»[2]

فتاريخ الأدب عند ياوس قائم على إنتاج النصوص وقراءتها وإعادة إنتاجها، مما يخلق لنا نصوص جديدة، كما عمل إصلاح المناهج السابقة والعمل على إيجاد حل للأزمة التي أصابت تاريخ الأدب.

يسعي ياوس من خلال بحثه أن يلخص » الأدب الألماني من الثنائية المفروضة عليه يتأثر المذهب الماركسي في النقد، ومذهب الشكلية الروسية فالتعارف بين الاتجاهين قائم على أساس القارئ الماركسي يتعامل مع النص الأدبي من خلال التفسير المادي للتاريخ،

[1] ينظر: غنيمة كولوقلبي، نظرية التلقي الإبستمولوجية وعلاقتها بنظريات الاتصال، دار التنوير، الجزائر، 2013، ط1، ص: 65.

[2] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجمالية التلقي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996، ط1، ص: 55.

فهو معزول تماما عن جمالية النص، أما القارئ في مذهب الشكلية الروسية فهو يستقبل النص معزولا عن مواقفه التاريخية، وغاية همه أن يقف عند البناء الشكلي.»[1]

كما طرح ياوس أفكار من بينهما "أفق التوقعات " وصاغ مفهومها انطلاقا من ثلاثة مبادئ أساسية ساهمت في اتساع إطار الأفق هي:

«أ. تمرس الجمهور السابق بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه هذا العمل.

ب . أشكال وموضوعات أعمال ماضية تفترض في العمل.

ج . التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية، بين العالم الخيالي والعالم اليومي.»[2]

فتطبيق هذه المبادئ يتبين لنا أنه أثناء ممارسة فعل القراءة لابد على القارئ أن يكون له معرفة، وخلفية عن النصوص وذلك جراء احتكاكه بالنصوص ومعرفته بخصائصها الفنية التي تميز كل جنس عن غيره مع إدراكه لصيرورتها عبر الزمان، مما يتيح للقارئ إمكانية إدراك أثر أدبي جديد حسب إمكانياته وتطلعاته.

" المسافة الجمالية" تعد المسافة الجمالية مكملا لأفق التوقع، وهي من أهم المفاهيم الإجرائية المتعمدة من طرف ياوس «إن الأثر الأدبي قد يستجيب فور ظهوره لتوقع جمهوره الأول وقد يتجاوزه أو يخيبه أو يعارضه، هذه الطريقة التي يتفاعل بها الأثر الأدبي مع الجمهور تزويدنا بمعيار للحكم على القيمة الجمالية، فالمسافة بين أفق التوقع والأثر الأدبي، بين المعايير المألوفة التي تزودننا بها الخبرة الجمالية السابقة وتغير الأفق الناتج عن استقبال الأثر الأدبي الجديد يحدد لجمالية التلقي الجمالية الخالصة لأثر الأدبي ما.»[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص: 27.

[2] هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر، رشيد بن حدوا، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016، ط1، ص: 148.

[3] هانس روبرت ياوس، المرجع السابق، ص ص: 69، 70.

العمل هذا أنها هي المسافة التي تفصل بين أفق الانتظار الموجود مسبقا والعمل الأدبي الموجود حاليا أو في الحاضر وهذا ما يصطلح عليه بالعدول الجمالي أو الخروج عما هو مألوف.

2. فولفغانغ ايزير

«العمل الأدبي عند ايزير لا يتمثل في النص أو القارئ فحسب ,وإنما الالتحام والتفاعل بين الاثنين وإيزير في بحثه عن كشف العلاقة بين الأدب والمتلقي يرى أن تحليل النص يستند على فعل المتلقي في إدراكه لأي عمل أدبي »[1]

وبمجرد احتكاك القارئ مع النص يحدث تفاعل بينهما حيث تلعب الفراغات دورا محوريا في تحريك القارئ فهي ركيزة أساسية للفهم.

«وهكذا ترسم الفراغات والمواطن الخاوية مسارا القراءة النص، عن طريق تنظيم إسهامات القارئ في بنية الأوضاع المتحولة الخاصة بها، وهي تضطر القارئ في الوقت نفسه في أن يكمل البنية وأن ينتج بذلك الموضوع الجمالي».[2]

أي أن القارئ هو من يملأ الفراغات التي استخلصها من النص مما ينتج عند إكماله البنية النصية وتحقيق جمالية النص.

فلكل قارئ رؤية وتحليل خاص به، حسب تلقيه للنص ونتيجة ذلك يعطي قراءات جديدة وهذا ما ذهب إليه ايزير هو إشراك القارئ في العملية الإبداعية.

«أبرز ما جاء به هو مقولة القارئ الضمني، كما ظهرت في الوقت ذاته أنواع وأنماط أخرى للقراء وهي كالأتي »[1]:

---

[1] ناظم عودة حضرة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص: 14

[2] روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2000، ط1، ص: 148.

. «القارئ الحقيقي: يظهر هذا القارئ من خلال نصوصه القرائية المكتوبة، ويتبين دوره من خلال التواصل اللغوي الذي يمثله المرسل إليه الذي ترتبط قراءته بزمان ومكان معينين، ويقوم القارئ الحقيقي بتوثيق قراءته في كتاب ويتضح هذا النوع من القراء في النقاد الذين اهتموا بتوثيق النصوص النقدية.»[2]

. «القارئ الافتراضي: هذا النوع من القراء يستوعب كل الاحتمالات القرائية للنص الواحد، وأبرز ما يميزه هو أنه غير حقيقي، لا تتحكم فيه ثنائية الزمان والمكان، وأحيانا تعدديته تثبت أن مستواه بسيط مما يجعلنا نسقط عليه قراءة سطحية تكتفي بالدلالات اللغوية ولربما نسقط عليه قراءة جمالية تكتفي يتقصي دلالاته الغائبة.»[3]

«القارئ المقصود: ظهر هذا القارئ مع وولف، ويمكن أن يتخذ هذا القارئ أشكالا متعددة، كما يمكنه أن جميع القراء الذين هم في ذهن المؤلف أو في أذهان المتلقين، ويرتبط وولف بالتاريخ الاجتماعي للعصر وذلك لتسهيل تحديد المتلقي الذي يخاطبه المؤلف، وقد اعتبر وولف هذا القارئ مثل باقي البنيات النصية (الشخصيات، الأحداث، الموضوع.....)»[4]

«القارئ الضمني: مفهوم استعمله ايزير، ويعد حجر الزاوية في بناء نظريته، وهذا القارئ ليس بالحقيقي ولا الافتراضي بل عبارة عن بنية داخلية في النص، وما يميز القارئ الضمني هو انعزاله عن كل مؤثر خارجي، بل أن له جذور متأصلة في بنية النص، إنه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقته مع أي قارئ حقيقي.»[5]

---

[1] فولفغانغ أيزير: فعل القراءة، تر: حميد الحميداني، منشورات مكتبة المناهل، فاس، المغرب، ط1، ص: 20.

[2] فاطمة نصير، نظرية القراءة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة سكيكدة، ص: 166

[3] المرجع السابق، ص: 166

[4] فاطمة نصير، المرجع السابق، ص: 167

[5] فولفغانغ ايزير، فعل القراءة، تر: حميد الحمداني، ص: 30.

تظهر القراءة السابقة واقع حضور القارئ كعنصر مهم في العملية الإبداعية، إذ ظل القارئ مغيبا طيلة حقبة زمنية طويلة شملت مرحلة ما قبل البنيوية ومرحلة البنيوية. وان كان هناك بعض الاهتمام. إلا أن القارئ يبقى مجرد مستهلك. ولكن ومع تغير الواقع النقدي ودخوله في مرحلة ما بعد البنيوية. أعلن رسميا عن ميلاد القارئ من جديد ليصبح القطب الفعال في العملية الإبداعية.

الفصل الأول:

نشأة سوسيولوجيا القراءة

أصبح الحديث حول الطبيعة الاجتماعية للأدب منذ مطلع القرن العشرين يتجه نحو المجالات التي أهملتها الأبحاث الاجتماعية لفترة طويلة، إذ تجاوزت بذلك النظر في العلاقة بين الأدب والواقع وتحديد تأثيرها المتبادل في الصناعة الأدبية، ورصد الأدب في أركانه الثلاثة: الأديب، الأثر الأدبي، القارئ، فتتشكل في شكل دولاب ضخم يدور حول نفسه، كما تطارد رحلة المنتوج أعراض غامضة تجعل من الرديء أكثر انتشارا ومن الجيد أكثر انهيارا وفي هذا الإطار ظهر العديد من الاتجاهات النقدية التي تهتم بالإنتاج الأدبي وعلاقته بالقارئ، ومن بينها سوسيولوجيا القراءة.

1 مفهوم سوسيولوجيا: sociologie

1-1 . لغة

«لو تأملنا من الناحية اللغوية في الشطر الأول من كلمة sociologie الفرنسية أو sociology الإنجليزية وهو socio من الجذر sociy يعني رابطة المجتمع أما الشطر الثاني المتمثل في logie أو logy الإنجليزية فهو يعني في اللغة اليونانية العلم المنطق الدراسة المتعمقة، وهذا ما جعل العديد من علماء الاجتماع البارزين في الغرب، يعتمدون في منتصف القرن العشرين، الترجمة الحرفية في مدلولها اللاتيني، في تعريفهم لعلم الاجتماع حيث أشاروا إلى أنه علم المجتمع، أو علم الدراسة التعليمة للمجتمع، علما بأن مصطلح مجتمع (society/société) لا يزال يثير في حد ذاته إشكالات إبستمولوجية، نظرا للتنوع الثقافي والحضاري وفي داخل المجتمع الواحد وأثار ذلك كل الاتجاهات والمواقف العلمية والمعرفية اتجاه السوسيولوجيا أو المجتمع أوهما معا.»[1] فمصطلح سوسيولوجيا يعني علم اجتماع، أو علم الاجتماع.

[1] مرزوقي بدر الدين، المفهوم السوسيولوجي (مقاربة نقدية لبعض أبرز التعاريف الغربية المعاصرة)، متون، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة الجزائر، ع4، ديسمبر 2017، ص: 108.

1-2 اصطلاحا

يعد "ابن خلدون" أول من تبنى مصطلح سوسيولجي(علم الاجتماع) سعيا منه لإقامة علم جديد أسماه علم العمران البشري والاجتماع الإنساني، حيث عرفه بأنه: «العلم الذي يعرض لطبيعة العمران البشري من الأحوال مثل: التوحش والتآنس والعصبيات وأصناف تقلبات البشر على بعضهم البعض وما بني عن ذلك من تملك الدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش، والعلوم والصنائع وأثر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال، وما لذلك من العلل والأسباب».[1]

في حين يعرفها "ليوسبيتزر": «العلم الذي يصف ويفسر نشأة النظم الاجتماعية والنظم الاقتصادية والسياسية والدين والعلاقات بين هذه النظم».[2]

غير أن علم الاجتماع يركز على المجتمع والسلوك الاجتماعي وأنماط العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي، وثقافة الحياة اليومية.

واستنادا إلى نظرية "أوغست كونط "الذي أطلق على علم الاجتماع تسمية الدراسة العلمية للمجتمع يعرفها "عبد الرحمان إبراهيم": بأنها " اسم لعلم يعنى بدراسة الوقائع المجتمعية باعتبارها تشكل واقعا متميزا له قوانين خاصة كما الحال بالنسبة للوقائع الفيزيائية أو البيولوجية »[3]. ويعني به الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي للأفراد و الأساليب التي ينتظم بها المجتمع بإتباع خطوات المنهج العلمي.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر بيروت لبنان، 2001، ط1، ص: 120.

[2] كريمة صافر، مقدمة في علم الاجتماع، النشر الجامعي، تلمسان الجزائر، 2017، د.ط، ص: 33

[3] عبد الله إبراهيم، علم اجتماع السوسيولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط2، ص: 26.

في حين يرى "أنور عبد الحميد موسى "أن علم الاجتماع هو: «العلم الذي يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية للإنسان وعلاقتها بعوامل أربعة هي الحضارة والبيئة والطبيعة والوراثة والجماعة.»[1]

ومنه يتبين لنا أن سوسيولوجيا هي علم دراسة الفكر الإنساني والسياق الاجتماعي الذي نشأ داخله ومدى تأثير العوامل الاجتماعية على حياة الفرد إذ يتطور علم الاجتماع بتطور الحياة ويتفرع حسب اتجاهاتها. والإنسان هو المحور الذي تدور حوله الدراسة الاجتماعية وما ستلزمه النظر في سلوكه ومزاجه، وعلاقته بالآخرين ومدى قدرته على الإبداع والابتكار في مجال الأدب والفن.

I-2-مفهوم القراءة

2-1 لغة:

تعد القراءة جوهر المعرفة، وغداء العقل فهي مناط توسيع المدارك وتطوير المعلومات وكسب الثقافة، وأساس اندفاع الفرد نحو الإبداع والابتكار، علاوة على هذا فهي ركيزة تقدم الأمم ورقي الشعوب والأمة الواعية المتفوقة هي الأمة القارئة.

«يعتبر فعل القراءة على المستوى اللغوي، فعل التعرف على الحروف وتجميعها بغية فهم العلاقة بين ما هو مكتوب وما هو منطوق»[2]

ورد في لسان العرب: " القرآن التنزيل العزيز وإنما قدم على ما هو ابسط من لشرفه، قرأه يقرؤوه . من القرآن معنى الجمع وسمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، وقراءة من قرأ:

[1] أنور عبد الحميد، علم الاجتماع الأدبي (منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، لبنان، 2011، ط1، ص9.

[2] حنة أحمد، قردان الميلود، فعل القراءة عند حبيب مونسي من خلال كتابه نظريات القراءة في النقد المعاصر، مجلة المعيار، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، م13، ع02، ديسمبر2022، ص: 15.

يَكَادُ سَنَي بَرْقه يَذْهَبُ بالأَبْصَارُ، أي تنبت الدهن ويذهب الأبصار وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضمت بعضه إلى بعض.

ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة على قط، وما قرأت جنينا قط، أي يضطم أحجمها على ولد وأنشد هجان اللون لم تقرأ جنين وقال: قال أكثر الناس معناه لم تجمع جنينا أي لم يضطم رحمها على الجنين.»[1]

ومنه يبين أن مفهوم القراءة لغة يتمحور حول الظلم والجمع.

2-2-اصطلاحا:

يعد مصطلح القراءة مصطلح متشعبا يمد بجذوره لكثير من الاتجاهات والخلفيات، فهي في رأي التقليدين استهلاك لنص، وعلى خلاف هذا تمثل عند الحاثيين من النقاد إعادة إنتاج النص لهذا أصبح الاهتمام بالقراءة نشاطا تأويليا يقوم به القارئ.

يعرف "فولفغانغ إيزير" القراءة على أنها: «تفاعلا ديناميا بين النص القارئ»[2]. باعتبار أن النص مفتوح دلاليا وبنية غير مكتملة يستدعي بالضرورة القارئ لملئ فجواتها ومنه فالأعمال الأدبية موضوعات قصدية لا تتحقق فعليا إلا بعد تلقيها وقراءتها، يقول في هذا الصدد: «.....فالنص ذاته يقدم إلا مظاهر خطاطية يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنص بينهما يحدث الإنتاج الفعلي من خلال فعل التحقق »[3]. فالقراءة إعادة إنتاج المقروء بناء على التأويل.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مجلد 01، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2013، ص ص: 133 . 134.

[2] إيزر، فعل القراءة (نظرية جمالية التجاوب في الأدب)، تر: حميد حميداني، الجيالي كدية، مكتبة المناهل، البيضاء المغرب، 1995، د.ط، ص: 55.

[3] إيزر، فعل القراءة، ص: 12.

أما " يمنى العيد" فقد عرفت للقراءة في إطارها النقدي حيث تقول:" القراءة بمفهومها النقدي فاعلية منتجة تمارس فعل التحويل للثقافة وأثرها المحد لها »[1]. فهموم القراءة هنا يتحدد تبعا لثقافة القراء وأذواقهم ومواصفاتهم، وإيديولوجياتهم وتوجهاتهم وفلسفتهم في الحياة. وعلاوة على هذا ففعل القراءة يختلف حسب ثقافة المجتمع وإيديولوجياته وتوجهاته الفلسفية في الحياة .في حين يرى علي الحرب أن القراءة: «نشاط فكري لغوي مولد لتباين منتج للاختلاف، فهي تتباين، بطبيعتها، عم تزيد بيانه وتختلف، بذاتها كما تزيد قراءاته وشرطها، بل وعلة وجودها وتحققها أن تكون كذلك أي مختلفة عما تقرأ فيه، ولكن فاعلة في الوقت نفسه ومنتجة باختلافها، ولاختلافها بالذات.....»[2]. ويقصد به أن القراءة للنص الواحد تختلف من قارئ لأخر ومن قراءة إلى أخرى، وقد تختلف عند القارئ ذاته وهذا تبعا لأحواله النفسية وخلفياته الثقافية.

ومنه فالمنتوج الأدبي يقتضي اختراق بنياته الداخلية، للولوج إلى عالمه الداخلي، ولا يكون ذلك إلا من خلال قراءة واعية ومسؤولة لا تكتفي بالمنظور السطحي، إنما تستشف أغوار النص.

II . مفهوم سوسيولوجيا القراءة: (la sociologie de la lecture)

تعددت المفاهيم حول سوسيولوجيا القراءة وذلك بتعدد النقاد والدارسين، حيث عرفها "رولان بارت" بقوله: «القراءة السوسيولوجية هي التي تربط بين الأدب بالمجتمع لكن ليس في ضوء الانعكاس المباشر بطريقة جمالية مستقلة في العلاقة بالواقع المعطى».[3]

فمن هذا إذن، يرى" رولان بارت" أن سوسيولوجيا القراءة منهجا تجريبيا تستكشف فيه تفاعل القراء على المجتمع وتفاعل الأفراد مع النصوص المكتوبة.

---

[1] يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي (في ضوء المنهج البنيوي)، دار الغارابي، بيروت لبنان، 2010، ط3، ص: 22.

[2] علي حرب، قراءة عالم يقرأ. نقد القراءة، الفكر العربي المعاصر، بيروت لبنان، 1988، د.ط، ص 41.

[3] رولان بارت وآخرون، نظريات القراءة، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار اللاذقية، سوريا، 2003، ط1، ص: 23.

كما يضيف "بول آرون وألان فيالا ": «سوسيولوجيا القراءة تتخطى حدود الأدبي: تقرأ الكتب، وتقرأ كذلك على نطاق أكثر اتساعا مجلات..... ولهذا فإن القراءة أمر مرهون بالإنتظارات والرغبات المشتركة، فالقارئ حتى وإن كان معزولا، لا يكون وحيدا أبدا، لأنه يقرئ كفرد اجتماعي.»[1] فالقارئ عنصر مهم في المجتمع وكذلك في العملية الإبداعية وذلك من خلال الحيز المعاش فيه، كما تتخطى سوسيولوجيا القراءة الحدود الجغرافية للأدب.

ويضيف "جاك لينهارت" بقوله: «باعتمادها تحريات الميدانية لمعرفة كيف يفكر القارئ، وماذا ينتظر من العمل الأدبي.»[2]

من خلال هذه المفاهيم لنقاد الغرب نستنتج أن سوسيولوجيا القراءة تهتم بكفية تأثير العمل الأدبي على القراء وكيف يتفاعلون معها، فهي تسعى لفهم ديناميكيات القراءة وتحليل العلاقة بين النص والقارئ. كما أن القارئ شريك في عملية الإنتاج العمل الأدبي، كونه المستهلك للأثر الأدبي.

يرى "حبيب مونسي" «أن الإشكالية قد أصبحت متمركزة على فعل القراءة، وعلى طبيعة القراء وعلى الخلفية الثقافية الرافدة، وهو إقرار بتعدد الجمهور الفعلي كما يجسده الواقع المعيش.»[3]

"فمونسي" يرى أن العملية الإبداعية تتطلب وجود قراء، يتلقون العمل الأدبي وذلك من خلال أنساقهم المتنوعة، وهذا ما يؤدي إلى تنوع القراء.

ونجد "جميل حمداوي " يعرف سوسيولوجيا القراءة قائلا بأنها: «البحث في شروط المادية والنفسية والمؤسسية لمباشرة القراءة، بالتركيز على الإنتاج والتوزيع والاستهلاك.»[1]

---

[1] بول آرون وألان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، تر: محمد علي مقلد، دار المطبوعات الجديدة، فرنسا، 2005، ط1، ص: 108.

[2] جاك لينهارت، سوسيولوجيا القراءة، مجلة الكرمل، فلسطين، العدد: 36 . 37، يوليو 1990، ص: 66.

[3] حبيب مونسي، نظريات في النقد العربي المعاصر، دار الأديب، وهران، 2007، د.ط، ص ص: 38 39.

إضافة إلى هذه المفاهيم نجد "عبد الحميد الموسى " يعرفها كتالي: «أنها تهتم بالقارئ بصفته مستهلكا للمنتوج الأدبي، كما يحلل الباحث عملية القراءة (أي العلاقة بين القارئ والكاتب) ودرجة التأثير فيه.....عبر استثمار الوسائل المنهجية السوسيولوجية.»[2]

من خلال هذه التعاريف نستخلص أن سوسيولوجيا القراءة هي اتجاه نقدي تهتم بدراسة العمل الأدبي، كما تركز على فهم العلاقة بين النصوص والمجتمع فالهدف منها البحث في كيفية تأثير على النص بالظروف الاجتماعية، غير أن سوسيولوجيا القراءة جعلت من الأدب سلعة تستلزم معرفة مسبقة بالسياق الاجتماعي الذي تتوجه إليه.

III- الأصول الفلسفية والنقدية لسوسيولوجيا القراءة:

III-1- " الأصول الفلسفية ":

لكل منهج أو نظرية مجموعة من الأصول المعرفية التي تتكئ على خلفيات فلسفية، غير أن النظرية أو المنهج لا ينشأ من فراغ بل بالعكس من ذلك فهي إنتاج للإرهاصات سابقة كذلك هو الأمر بالنسبة إلى سوسيولوجيا القراءة، فهي لم تنشأ من العدم بل ساهمت في وجودها وظهورها مجموعة من الخلفيات الفلسفية والنقدية، وتتمثل الخلفيات الفلسفية في "الظاهرتية " (الفنومينولوجيا) و "الهرمنيوطيقيا "إلى جانب هاتين الفلسفتين هناك مؤثرات نقدية أثرت فيها ويمكن حصرها في" سوسيولوجيا الأدب "و"نظرية التلقي".

1-1- الفلسفة الظاهراتية

تعتبر الظاهرتية من أبرز التيارات الفكرية في القرن العشرين وذلك لاهتمامها بأهم القضايا الفلسفية التي تمس الحياة الإنسانية المعاصرة فعرفها العرب كتالي:

---

[1] جميل حمداوي، نظريات القراءة في النقد الأدبي، حقوق الطبع محفوظة، 2015، ط1، ص: 15.

[2] أنور عبد الحميد الموسي، علم اجتماع الأدبي، دار النهضة العربية، د.ط، ص: 350.

فالظاهرتية هي كلمة مشتقة من الظاهر فجاء في لسان العرب ب: «الظهر . من الشيء وخلاف البطن.....وذلك من الناحية النسبية.» [1]

وجاء في الصحاح: »الظهر، خلاف البطن »[2]

عند الغرب: «الفلسفة الظاهرتية بوصفها شكلا من أشكال الوعي تقوم على التفكير بما يظهر أمام الوعي وفي حدود الشعور والأفعال لكي يكون قابلا للتوصيف حسب دلالاته من خلال إزالة التضاد والتعارض بين الذات المدركة وموضوعاتها بأنها دراسة الظواهر المتجلية الأول وهلة أمام الوعي..... من شأنها أن تحول دون بلوغ حقيقة الأشياء. »[3]

وعليه فإن الظاهرتية اتجاه فلسفي تركز على القارئ في تحديد المعنى، لذا تدرس ماهو معروض على الوعي، بحيث ترتبط الذات ارتباطا مباشرا بالظاهر الموضوع.

برزت الظاهراتية على يد " هوسرل " الذي استفاد من فلاسفة سبقوه، فقد اخذمن "برنتانو " فكرة القصدية، التي تحدد علاقة الذات بالموضوع في علم النفس، كما أخذ من الكوجيتو الديكارتي فكرة الذاتية وقيمة البداهة واليقين الذاتي.

اقترح "هوسرل" مفهومي التعليق و الرد، إذ يرى «أنه على الذات الواعية في إدراكها للأشياء أن تعلق أي أن تتخلص من أحكامها ومسلماتها السابقة وأن نتعامل مع الأشياء كما تتجلى في الوعي الإنساني».[4]

---

[1] إبن منظور لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، ج2، (ذف)، دار لسان العرب، بيروت لبنان، ط1، ص ص: 655 . 658.

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ط2، ص: 730.

[3] عبد الغني بارة، الهيرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل التأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، 2008، ط1، ص: 104.

[4] صباغ إيمان، نظرية التلقي في النقد العربي المعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2016، ص: 51.

وضمن فلسفة "هوسرل ": » فإن ما يتجسد في النص الأدبي هو وعي المؤلف لمظاهر العالم والحياة، وبالتالي فإن البني الخطابية للنص تتحكم مقصدية المؤلف، من أجل بلوغ فهم مقصدية المؤلف أو القارئ أن يتخلص من جميع أحكامه السابقة وكذا تجربته الخاصة. »[1]

ومن خلال مما سبق فإن التعامل مع المنتوج الأدبي يقتضي من القارئ أو المؤول أن يتخلص من تجربته التاريخية وأيضا تجربته الخاصة.

ترتبط سوسيولوجيا القراءة بفلسفة هوسرل بالتركيز على التأثير الاجتماعي وذلك من خلال عملية القراءة، فهوسرل يعتبر القراءة جزءا من المجتمع ويؤمن بأن القراءة تشكل جزءا هاما من تجربة حياته، فيرى بأن القراءة ليست مجرد عملية بل تشكل من الحوار الاجتماعي.

غير أن "انغاردن" تلميذ هوسرل تأثر بأستاذه لكن جاء بفلسفة جديدة غير فيها المعايير السابقة مثلا التعالي عنده ينطوي على بنيتين متحدتين. «بنية ثابتة ويسمها نمطية وهي أساس الفهم وأخرى متغيرة يسميها مادية وهي تشكل الأساس الأسلوبي للعمل الأدبي وفعل الفهم. »[2] بهذا فإن المعنى يتجسد من خلال هاتين البنيتين. كما تشكلت القصدية عند رومان أنغاردن عن طريق القراءة لأن العمل الأدبي يقوم على أربع طبقات تشكل البنية المجملة وهي:

1- طبقات الأصوات الكلمات والصيغ.

2- طبقة وحدات المعنى المتنوعة الأشكال مثل الكلمات والجمل أو الوحدات المكونة من الجمل.

[1] عبد الكريم شرفي , من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، منشورات إختلاف، الجزائر، 2007، ط1 ص: 36.

[2] بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، ص: 35.

3- طبقة الأوجه المعروضة.

4- وجهات النظر المؤخرة.»[1]

فهذه البنية المجملة تحتوي على مواقع لا تتضح إلا من خلال آلية القراءة حيث أنها تسمح للقارئ عن طريق فعل الإدراك وعملية الفهم بسد الثغرات الموجودة في النص. ومن هنا حدد أنغاردن العلاقة بين القارئ والنص والتي وضحها كالتالي: التحقيق العياني , والتجسيد.

فالتحقيق العياني عرفه كتالي:

«هو النشاط الذي يقوم به القراء باستبعادهم أو ملئهم للعناصر المبهمة أو الفراغات أو الجوانب المهملة.»[2]

فعملية القراءة هو دخولهم إلى عالم النص وقراءته محاولين بذلك سد الفجوات المجود في المنتوج الأدبي.

أما التجسيد: «فهو الإضافات التي يلحقها القارئ بالعمل سواء باستبعاده للعناصر المبهمة أو بملئه الفراغات.»[3]

إذ يرى أنغاردن أن المواقع الفارغة الموجودة داخل العمل الأدبي هي ميزة خاصة به، فهذه الفجوات هي المستوى العالي الاكتمال حرية القارئ في النص، فالقارئ هو يقوم بهذه السلطة لتبرز فعاليته كطرف منتج في النص.

تتجسد فلسفة "أنغاردن " في سوسيولوجيا القراءة من خلال دراسة العوامل الاجتماعية وتفاعلها على الأفراد، وهذا يشمل التأثير على عملية القراءة وتفسير النصوص، ففلسفة

[1] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، القاهرة، 1999، د. ط، ص: 81.

[2] روبرت هولب ,نظرية التلقي، مقدمة نقدية، تر: عزالدين إسماعيل، القاهرة، 2000، ط1، ص: 91

[3] المرجع السابق، ص: 93.

"أنغاردن" تركز على فهم العالم والواقع من خلال اللغة والتفاعلات الاجتماعية، فيربط بالعملية القرائية وكيفت تأثير العوامل الاجتماعية على فهمنا للنصوص.

ويمكن القول أن سوسيولوجيا القراءة تأثرت بأعمال انغاردن باعتبار النص الأدبي موضوعا قصديا، والقصدية لا تتجلى إلا من خلال آلية القراءة.

فالظاهراتية قطب أحاطت بالقارئ , فهي تعد الأرض الخصبة للنهوض ب سوسيولوجيا القراءة فهي منحتها مكانة مرموقة في العملية الإبداعية.

1-2- " الهيرمينيوطيقا" (التأويل):

كما أثرت الظاهرتية في سوسيولوجيا القراءة فالهيرمنيوطيقا لها دور فعال أيضا في تأسيس سوسيولوجيا القراءة.

فالهيرمنيوطيقا في اليونانية. «كلمة ذات أصل يوناني في أصل مشتقة من الفعل اليوناني hermehevia والذي تعني التفسير والتي تتعلق في الأصل بالإلهة هرمس، كذلك الوسيط بين الإله والبشر. »[1]

إذن التأويل في معناها القديم مرتبط بشرح أوامر الإله فهو ذات طابع تقديسي. «فالمؤول يقوم بدلالة الوساطة بين الرسالة الإلهية والبشر. »[2] وبذلك. «فالهيرمنيوطيقا بفضل معرفة اللسانية يجعل الغامض قابلا للفهم بتوظيفه فقه اللغة »[3]

[1] عادل مصطفى، مدخل إلى الهيرمنيوطيقا، نظرية التأويل، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2003، ط1، ص ص: 17 . 18.

[2] نفس المرجع، ص: 26.

[3] عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص: 24.

فالهيرمنيوطيقا تقوم بتحليل وشرح شفرات تأويل النصوص كما تمكن أهميتها في ألية الفهم وذلك من خلال اتساع دائرة المؤول. غير أنها تعنى بقواعد فن التفسير وفهم النصوص الدنية الدنيوية.

" يعود الفضل إلى شلايرماخر في نقل التأويل من دائرة الاستخدام اللاهوتي ليكون علما أو فنا لعملية الفهم وشروطها في تحليل النصوص وهكذا نشأت النظرية العامة التأويل من حيث هي المقارنة تأويلية تتقصى أثر الخطابات الأكثر اختلافا وتهدف إلى ترسيخ مفاهيم مثل اللغة والخطاب والذات المتكلمة والفهم."[1]فهي منهج تفسيري يقوم على ثلاثة أطراف المفسر والنص والمبدع. «حيث تقوم تأويلية شلايرماخر على أساس أن النص عبارة عن وسيط لغوي بنقل فكر المؤلف الى القارئ وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي إلى اللغة بكاملها »[2]، فعملية الفهم في حد ذاتها متعلقة بالتأويل وتفسير النصوص وتوضيح مقاصديها فتأويلية شلايرماخر هدفها الأساسي هو إعادة تركيب النص من المنظور اللغوي والنفسي.

«التفسير النفسي: هو الذي يهتم بالتفاعل بين القارئ والنص، التفسير القواعدي: هو الذي يتطلب معرفة وفحص نحوي لبنية النص ولغته».[3]

شلايرماخر له الفضل في نقل الهيرمينوطيقا من دوائر التفكير الديني اللاهوتي إلى التفكير التأملي الفلسفي العميق في النصوص المختلفة المتنوعة.

تتجلى القراءة في تسليط الضوء على كيفية تفاعل العوامل الاجتماعية على عملية القراءة وتفسير النصوص، فهو يعتبر اللغة وتأثيرات الاجتماعية تلعبان دورا حاسما في شكل معنى النصوص التي نقرأها.

[1] الناصر عبد الأوي، التواصل والحوار، دار الفاربي، لبنان، 2013، ط1، ص: 52

[2] نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة ,آليات التأويل، المركز الثقافي، ط4، ص: 27.

[3]: عبد الكريم شرفي من فلسفات التأويل إلى نظرية القراءة، ص: 27

كما ساهم هانز جواج جادامير في استراتجيات القراءة من خلال تقديمه لمجموعة من الأدوات الإجرائية في دراسة النصوص الأدبية حيث يعطي النص بعدا تأويليا من خلال عملية الفهم الذي هو: «وضع المرء لنفسه داخل صيرورة التراث التي ينصهر فيها الماضي والحاضر باستمرار، وذلك يتوفر عناصر التأويل الثلاثة وهي: الفهم المسبق للكمال أي الاعتقاد بأن ما يشكل المعنى هو الذي يحمل صفة المشروعية بالنسبة لنا وثالثا العلاقة بالحقيقة، وباجتماع هذه الشروط نكون في وضع يؤهلنا الفهم النص بوصفه معنى آخر والمقصود بالمعنى هنا هو مضمون العمل وليس قصد المؤلف ».[1]

كما ركز هذا الأخير بشكل كبير على حقيقة الفهم كمعضلة مفرقا بذلك بين المنهج والحقيقة. «غير أن الهدف التأويلي ليس تبيان دلالة عمل فني مالدى جمهوره الأصلي أو لدى مؤلفه و إنما يمكن أن يعنيه هذا بالنسبة لنا في الحاضر.» [2]

غير أنه تجاوز جادامير عملية القراءة بالمؤلف، كما يرى أن الكتابة تمنح الاستقلال عن مبدعه، فالنص أصبح منعزلا عن فعل الكتابة وعن كل المؤثرات التي تؤثر فيه فهو يرى بأنه: « لا يفهم النص كتعبير عن الحياة والمؤلف وعواطفه، يجب أن تحاول فهم النص في حد ذاته»[3]. فقد قام بعزل النص عن المؤلف.

وهكذا استفادت سوسيولوجيا القراءة من الفلاسفة وذلك من خلال رد الاعتبار وإعادة إنتاجه.

III-2 "الأصول النقدية "

2-1 نظرية القراءة والتلقي:

[1] مراد حسن فطوم، التلقي في النقد العربي, منشورات الهيئة العامة السورية دمشق، 2013، د. ط، ص: 28.

[2] سامي إسماعيل، جماليات التلقي، المجلس الأعلى الثقافة، مصر، 2002، ط، ص 84.

[3] شرفي عبد الكريم، من الفلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص: 38.

بناءا على الفرصتين اللتين طرحهما كل من إيزير وياوس اللذان يعتبران من نظرية القراءة والتلقي.

«فالأولى طرحها ياوس على شكل تساؤل: ما الذي يقوله النص وما الذي بمكن أن أقوله له؟ والثانية طرحها زميله إيزير بقوله أن العمل الأدبي ليس هو القارئ ولكنه نقطة الالتقاء الموجود بينهما في تفاعل دينامي منتج.»[1]

فالفرضية الأولى تقوم على أساس التأويل ودور القارئ في إنتاج المعنى أما الثانية فتقوم على عملية التفاعل بين العمل الأدبي والقارئ.

«موت المؤلف يعني من ناحية أخرى ميلاد القارئ فوجود النص يستوجب بالضرورة وجود القارئ فأساس القراءة هو التفاعل بين الإنتاج الأدبي ومتلقيه (القارئ) إذ حسب ياوس يعتبرا لمتلقي أداة فهم العمل الأدبي من خلال إدراك قيمة النص في جماليته في خضم القراء واختلاف دراجاتهم الفهم والتأويل»[2]، إذا تهتم نظرية القراءة والتلقي كفرع من الدراسات الأدبية الحديثة بالطرق التي يتم بها استقبال الأعمال الأدبية بناءا على القراءة بدلا من عملية إنتاج النصوص وفحصها في حد ذاتها.

اهتم ياوس في نظريته بالجمع بين الأدب والتاريخ متجاوزا بذلك المناهج الحاداثية التي قطعت الصلة مع كل ما هو قديم وأعلنت الحرب عن الموروث.

«وقد كانت جماليات التلقي (Rezeptionsasthetik) على نحو ما سمى ياوس في نظريته في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات تذهب إلى أن الجوهر التاريخي للعمل الفني ما لا يمكن بيانه عن طريق فحص عليه إنتاجه أو من خلال مجرد وصفه، والأخرى أن

[1] مصطفى عمراني، مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ط1، ص: 74

[2]: سميرة حدادي، جمالية التلقي . افتراضات ياوس وإيزير .، مجلة الأدب، جامعة محمد لمين، باغين، سطيف الجزائر، م17، ع1، ديسمبر، 2017، ص: 122.

الأدب ينبغي أن يدرس بوصفه عملية جدل بين الإنتاج والتلقي، فالأدب والفن لا يصبح لهما تاريخ له خاصية السياق إلا عندما يتحقق تعاقب الأعمال، من خلال الذات المنتجة فحسب بل هذه من خلال الذات المستهلكة كذلك، أي من خلال التفاعل بين المؤلف والجمهور».[1] أي أن الأدب يصبح له معنى من خلال التوسط بين الماضي والحاضر وكذا التاريخ يمكننا من فهم المعاني بوصفها جزء من الممارسات الراهنة.

«اعتمد ياوس على معيارين في التعامل على الذات لا غنى عن الأحد عن الأخر هما معيار الإدراك جمالي لدى المتلقي ومعيار الخبرات الماضية التي تتم استدعاؤها في لحظات التلقي ذلك أن الخبرات الجمالية التي كشف التفاعل على النص بواسطة القراء في عصور هي بمثابة دليل يساند وينفي سلسلة الاستقبالات من جيل إلى أخر.»[2]

حيث ذهب النقاد لماهية التلقي واستنادهم إلى مرجعيات نفسية واجتماعية اتجه ياوس إلى إحياء واسترجاع الموروث التاريخي وترجمته الآنية أي فترة التلقي. «لأن غاية ياوس من إثارة مشكلات التلقي هي كتابة جديدة لتاريخ الأدب تتجاوز حدود النشأة وما يخامرها من ملابسات وظروف وأوضاع سيكولوجية واجتماعية ومعرفية، إلى حدود التلقي . في الطرف الأخر . من المعادلة الثلاثية، إذ يبقى مقياس الجودة والحياة في يد الوقع الناتج عن تفاعل النص والقارئ في لحظة معينة تشكل الموقع الافتراضي (lieu virrtuil).»[3]

إن هدف ياوس لم يكن وفق التنظير للتلقي بل تجاوز هذا إلى دراسة صميم العلاقة الناتجة عن تفاعل القارئ مع العمل الأدبي في صورتها الآنية بطريقة محايثة

[1] روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عزالدين إسماعيل، ص: 100.

[2] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين مذاهب العربية الحديثة وترثنا النقدي، دار الفكر العربي، 1996، ط1، ص: 28.

[3] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص: 126.

من ناحية أخرى فنظرا لاهتمام ياوس المبالغ . إن صح التعبير . بالجانب التاريخي وعلاقته بالأدب لا يمكن إنكار أن ياوس كان له هدف أخر وهو إيجاد نظرية عامة للتواصل وبناءا على هذا يقول بأن النظرية. «مطالبة..... بالإنتاج على نظريات التواصل والسلوك وسوسيولوجيا المعرفة في يمكنها فهم كيفية إسهام الفن، بما هو أحد وسلتط الممارسة الاجتماعية في فهم التاريخ..... وتكون السلوك الاجتماعي وتنقله....»[1]

وبالعودة إلى سوسيولوجيا القراءة التي تقوم على أساس دراسة استجابة القارئ للإبداع الأدبي وكذلك الاعتماد على الأسس الاجتماعية والنفسية والثقافية في سبب التماس القارئ كتاب معين دون سواه، فنظرية التلقي وسوسيولوجيا القراءة، تتقاطعان في نفس الهدف المنشود وهو استقصاء المتلقي واستقراء فعل القراءة، والنظر في العلاقة الحتمية بين الإنتاج الأدبي وفعل القراءة.

علاوة على هذا فإذا كانت نظرية التلقي تهتم بالقارئ بناءا على أنه المساهم في إنتاج الإبداع الأدبي.«فالإبداع هنا هو معرفة تعتمد على ما يمكن للمرء أن يصنع، على شكل من الفعل الذي يحاول ويختبر من أجل أن يصبح الفهم والإنتاج شيئا واحدا.»[2]

وهذا ما أطلق بمصطلح «التجربة الجمالية المنتجة »[3]. الذي يشير أن القارئ مستهلك ومنتج في آن واحد، فالإنتاج الأدبي أصبح يستدعي القارئ ويدعوه للإسهام معه في عملية تكوين النص، كذلك يعد جوهر الدراسة السوسيوقرائية هو النظر للقارئ كمستهلك للإنتاج الأدبي متجاوزة بذلك البعد التاريخي والجمالي للأدب إلى الجانب الاجتماعي التطبيقي عن طريق تحليل عملية القراءة وفق آليات وأدوات يختبر بها الباحث عينة من المجتمع ما. كما يعتمد على الدراسات ميدانية وإحصائيات لي أخطر أنواع القراء على اختلاف ثقافتهم

[1] هانس روبرت ياوس، جماليات التلقي، ص: 30

[2] روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر عز الدين اسماعيل، ص: 122.

[3] المرجع نفسه، ص: 122.

وطبقتهم الاجتماعية وحياتهم المهنية وغيرها. «وبين ذا وذاك وأيا كان شأن التقاطع بين نظرية التلقي وسوسيولوجيا القراءة، فإن نظرية التلقي لها مصطلحات تبلور رؤيتها النقدية النظرية والإجرائية كالإستعاب، الإستقبال، الاستجابة، التقبل، أفق التوقع... وسوى ذلك كلها مجتمعة تؤثر على نفس المفهوم، وهو الحضور المستميت لعامل التلقي في فهم و تأويل الإبداع من المنظور الجمالي تاريخي ».[1]

فإذا كانت نظرية التلقي تعتني عناية فائتة بالبعد الجمالي والتاريخي على حد سواء وبالقارئ الضمني والتلقي المتخيل، فإن كانت سوسيولوجيا القراءة تتعامل مع الملموس إذ تتوجه مباشرة إلى استواء الجمهور القارئ أي تستهدف القارئ الحقيقي المحسوس.

في حين ركز ايزير على التفاعل بين النص والقارئ وأكد النهاية من وراء كل عمل أدبي تتجلى في تللك العلاقة القائمة بين النص ومتلقيه وان العمل الأدبي يقع بين قطبيين وهما.

«1 . القطب الفني وهو نص المؤلف.

2 . القطب الجمالي وهو التحقق الذي ينجزه القارئ.»[2]

أما الفني فيشر إلى العمل الأدبي كما أبدعه المؤلف، والجمالي هو فاعلية القارئ في إنتاج النص.

اهتم ايزير بالمعنى الذي ينشأ بناءا على التفاعل الحاصل بين القارئ والنص الأدبي فهو لا يفصل بين النص والقارئ وإنما يشملها مجتمعين مندمجين، على هذا الأساس أتى إيزير بإستراتجية تحليلية تنطوي على ثلاثة من مجلات و هي:

[1] بوكسين مجاهد، سوسيولوجيا التلقي / القراءة واليات الانشغال (مقاربة في المرجعية، الأدوات القرائية)، مجلة دراسات المعاصرة، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، م02، ع02، يناير 2018، ص: 147.

[2] فولفغانغ ايزير، فعل القراءة نظرية جمالية التجارب (في الأدب)، تر: حميد الحميداني، الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، ص: 12.

«أ . النص بما هو موجود بالقوة، يسمح بإ نتاج المعنى عند ما يقوم القارئ بتجسيده وعلى فجوات

ب . فحص عملية معالجة النص في القراءة حيث تبرز أهمية الصور العقلية التي تشكل في أثناء محاولة بناء موضوع جمالي.

ج . فحص الشروط التي تؤذن بقيام التفاعل بين النص والقارئ و تحكمه، وذلك في نظرية الاتصال وبنية الأدب البلاغية. »[1]

مهمة القارئ ألا يكون عاديا وألا يكون عاديا وأن يبعث الحياة في النص كون هذا الأخير تتخلله فراغات يقوم القارئ المثالي بملئها وبذلك إنتاجه للمعنى وهنا يتضح لنا أن «أن القراءة هي شرط ضروري ومسبق لجميع عمليات التأويل الأدبي.»[2]

«استنادا على الفلسفة الظواهرية يرى إيزر أن الخاصية المميزة للأدب هي أن الموضوع يتم إدراكه من الداخل ويمكن أن تفهم الرحلة التي تقوم بها وجهة النظر الطوافة عن طريق النظر فيما يسميه ايزر جدلية التوقع والذاكرة، يثيران إلى التوقعات المعدلة والذكريات المحولة، التي ترفد عملية القراءة بالمعلومات.»[3]

فالقارئ عند توجهه إلى قراءة النص يعتمد على مرجعياته الثقافية والمعرفية بالإضافة إلى توقعاته المستقبلية.

2-2 سوسيولوجيا الأدب

«منذ سيتنيات القرن المنصرم أمسى الاهتمام باجتماعية الأدب لتشوبها شائبة حمل لوائها علم الاجتماع وأرسى قواعدها جيل من الباحثين ترأسهم لوسيان غولدمان من منطلق

[1] روبرت هولب، نظرية التلقي (المقدمة)، تر: عز الدين إسماعيل، ص: 13.

[2] فولفتانغ إيزير، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد حميداني، ص: 12.

[3] بوسكين مجاهد، سوسيولوجيا التلقي (القراءة وآليات الانشغال)، ص: 149.

أن الإبداع الأدبي يعد رمزا للحياة الاجتماعية بكل أبعدها المختلفة وهذا الفرق يسمح للناقد أو الباحث أن يدرك سمات الآثار الأدبية وسمات المجتمعات بصورة مجملة والأدب في ظل هذا الاتجاه يعتبر شكلا من أشكال التعبير الذي يبرز بطريقة معينة نظرة العالم.»[1]

تعنى سوسيولوجيا الأدب بالنظر في الوضع الاجتماعي للنصوص الأدبية والعلاقات التي تتحكم في الإبداع الفني والمجتمع وكشف الشروط المتحكمة في التقسيمات المسبقة للأعمال الأدبية فالنصوص تحيا داخل المجتمع وتمارس تأثيرها فيه كما تؤثر الظروف الاجتماعية في عمليات استقبال الأعمال من قبل الجمهور.

«يرى غولدمان أن معيار العمل الأدبي بالنصوصية الدينامية "الحركية " ويمكن النفي عليه صفة الثبات، أي أن بناء العمل الأدبي ضمن هذا المفهوم لا ينبغي التعامل معه على أساس انعكاس للبناء الاجتماعي، أو تمثيل حياتي لصاحب الإنتاج المؤلف بمفردها بل كحقائق تنطوي على معاني موضوعية تجسد فكرة التعالق الجدلي بين شظية الكاتب ومحيطه الاجتماعي الذي يحدث في حقبة معينة ».[2]

يعتبر النص . حسب غولدمان . بناء متكامل يحمل في داخله وحدة عضوية متشابكة ومنها ما يعبر عن تفاعلاته مع محيطيه وعصره كونه قابل لمواكبة تغيرات مجتمعه بشكل مستمر.

«يتميز علم الاجتماع . كعلم، بقدر من الصرامة في المنهج والدقة في صيغ المفاهيم وأدوات البحث وأساليب الوصف والتحليل » [3]، في حين يشكل الأدب نتاجا لرؤية معينة للعالم وهذه الرؤية تعد تعبيرا عن موقف جماعة أو جماعات بشرية.

[1] بوكسين مجاهد، سوسيولوجيا التلقي القراءة وآليات الانشغال، ص: 142.

[2] ينظر المرجع السابق، ص: 143.

[3] محي الدين أبو شقراء، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، ص 48.

«إذن نجد أن علم الاجتماع والأدب يشتركان . على صعيد المحتوى . في بعد أساسي يميز كلا منها وهو النظرة العامة الشاملة، فعلم الاجتماع في جوهره يقوم على دراسة النظم والعمليات والطرق التي تساعد الإنسان على التكيف مع ظروف مجتمعه كما يسعى إلى معرفة آليات عملية التنشئة الاجتماعية والتعليم والثقافة وعلاقتها بالقيم السائدة في المجتمع في حين يهتم الأدب بعلم الاجتماع أيضا ويصور على النحو رائع محاولات الإنسان الدائمة لتكيف مع العالم ورغبته في تغييره والآمال والأحلام وطموحات التي يصوغها لنفسه »[1]

وعلى خلاف هذا لا يمكن القول أن تخصص علم الاجتماع يعتبر حقل تجارب للأدب وانتاجاته بقدر ما يمكن القول أن علاقتها أساسها التفاعل المتبادل.

«ومعنى ذلك أن الإقبال على سوسيولوجيا الأدب ليس غرضه إثراء حقل الاجتماع و تبرير فرضياته ولكنه بحث في صميم العملية الأدبية باستقطابه زواياها الثلاث: المؤلف، الناشر، القارئ ووصف رحلة الخطاب الأدبي عبر هذه القنوات قبل استقراره في حقل القراءة»[2]

أولت سوسيولوجيا الأدب العناية بالتحليل الاجتماعي والنفسي للقارئ و التركيز على الظروف التي تتم بها القراءة وأثر العلاقات الاجتماعية والنفسية في توجيه وتحديد العمل الأدبي الذي يعبر عن رسالة اجتماعية غايتها تحسين وظيفة المجتمع من خلال منح القارئ آليات فعالة وجعله في أحسن الظروف القرائية وعلى خلاف هذا «فالتوجه الذي انخرطت فيه سوسيولوجيا الأدب اغتدى يتدارس الظاهرة الأدبية في نطاق شبكة العلاقات المجتمعية ككل متكامل من دون تغيير أو تحديد انطلاقا من فرضية منهجية مؤداها أن وجود أفراد مبدعين يطرح مشاكل في التأويل النفساني والأخلاقي والفلسفي، كما تطرح الآثار نفسها مشاكل

[1]: ينظر: محي الدين أبو شقراء، المرجع السابق، ص: 48 . 49.

[2] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص: 44

جملية وأسلوبية ولغوية وتقنية أما وجود جماعة الجمهور فتطرح مشاكل ذات طابع تاريخي وسياسي بل اقتصادي أيضا..... »[1]

من أجل إحاطة سوسيولوجيا الأدب بإشكالات التي تنطوي عليها تفرعت إلى عدة فروع منها: علم الاجتماع الموزعين وعلم اجتماع الأجناس الأدبية وعلم اجتماع الرواية، وعلم اجتماع المؤلفين وعلم اجتماع القراءة الذي هو محط دراستنا.

«ترتبط سوسيولوجيا القراءة بوسائل الاتصال والنشر والتلقي والتأثير في القارئ من خلال الأنظمة الثقافية المختلفة في هذا المجال تلعب الإحصائيات والاستفتاءات والاستبيانات الاجتماعية دورا بالغ الأهمية وأكبر دعاة هذا المنهج هو إسكاربيت ويطبق زعيم هذا المصطلحات علم الاجتماع والاقتصاد كل الأدب فيقيم دراسته على ثلاث مراحل محددة هي الإنتاج، التسويق، الاستهلاك. »[2]

اهتم اسكاربيت بالجانب الاستهلاكي المتمثل في عملية القراءة حيث «يؤكد اسكاريبت بصورة قاطعة على ان مهمة علم اجتماع الأدب ليست هي دراسة الجانب الجمالي والفني في العمل الأدبي، وإنما هي تحديدا، دراسة هي دراسة الجانب الجمالي والفني في الظاهرة الأدبية، على اعتبار أن الكتابة قد أصبحت في يومنا هذا مهنة تمارس في أطار النظم الاقتصادية، وأن الكتب قد صارت إنتاجا مصنعا يتم توزيعه تجاريا ويخضع لقوانين العرض والطلب وان القراء هم الفئة المستهلكة لهذا الإنتاج ».[3]

وكذلك «الكتاب إنتاج في وصناعي في آن واحد لأنه يؤدي مهمة ثقافية وأخرى اقتصادية.»[4]

---

[1] بوسكين مجاهد، سوسيولوجيا التلقي القراءة وآليات الاشتغال، ص 143.

[2] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص: 48.

[3] محي الدين أبو شقراء مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، ص: 55.

[4] أنور عبد الحميد الموسى، علم الاجتماع الأدبي، ص: 279.

ونظرا على أن سوسيولوجيا القراءة تعد فرع من فروع سوسيولوجيا الأدب فقد تجاوزت الاهتمام بالخلفية الاقتصادية وتتبع مسار القراءة عبر القراءة عبر أقطابها الثلاثة وهي: الإنتاج، الاستهلاك والتوزيع.

IV نشأة سوسيولوجيا القراءة:

أخذت سوسيولوجيا الأدب في بادي الأمر وظيفة الاهتمام بتداخل الظواهر الاجتماعية في الأدب، واستخراج القوانين التي تضبط هذه العلاقة، إلا أن هذا دفعها إلى التفرع إلى التفرعات إجرائية وسوسيولوجيا القراءة تمثل إحدى هذه التفرعات، إذ تجاوزت ذلك إلى الاشتغال على تتبع النص الأدبي ودراسة المراحل يقطعها النص الصنيع الأدبي إنتاجا ونشرا وكيفية استقباله من طرف القراء باعتبارهم مستهلكين للإنتاج الأدبي، إلا أن هذا الاتجاه النقدي لم ينهض من فراغ بل نتاج لعدة تصورات ومن هم لمجموعة من المنظرين ليتم عرضهم كتالي: "ليولوفينتال " . "جوليان هيرش " . "ليفنين شوكنغ" . "روبرت إسكاربيت "وأخيرا جاك لينهارت.

1 . ليولوفينتال: "Lealowenthal "

اهتم ليولوفينتال بكيفية تلقي الأدب من قبل فئات اجتماعية مختلفة، حيث اعتمد على علم النفس الفرو يدي في دراسة سيكولوجيا التلقي والبحث في العلاقة بين العمل والمتلقي (القارئ).

«والأصح أنما كان يتبناه هو الكشف الأكثر تعمقا عن الخصائص الاجتماعية والنفسية في نطاق البنيات الاجتماعية »[1]

بناءا على هذا قام ليولوفينتال بدراسة كل مقالات وكتابات الروسي دستويفسكي كما درس سبب استحواذه لفئات معتبرة أو معينة من الشعب الألماني وبتحديد الطبقة الوسطى

[1] روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عزالدين إسماعيل، ص: 89.

من الألمان إذ أمدهم بسلسة من الأساطير يتقبلها أصحاب، وكنتيجة لهذه الدراسة توصل ليولوفيتال إلى أن الأعمال الأدبية يمكنها تقديم حاجات نفسية لفئة اجتماعية ما.

" ومن ثم فالتلقي عند ليولوفيتيال يستلزم قوة مكيفة اجتماعيا ومكيفة نفسيا كل سواء، فهو يستلزم الإيديولوجيا كما يستلزم مقاومة الإيديولوجيا، ويستلزم إشباع الحاجات ونتيجة هذا الإشباع كل سواء."[1]

02 . "جوليان هيرش" Julian Hirsh

جاء هيرش بكتابة المعنون ب "أصل الشهرة " في إطار الشهرة كانت الأسئلة الرائجة تتمحور حول كيفية ظهور الأفراد المبدعين في حين أن هيرش تساءل حول السبب في نشأة الشهرة وقد ساهم بهذا بنقل التركيز على الموضوع الفرد الي جانب إلى التركيز على الذات المقررة للقيمة أو المدركة." الشخص أو الجماعات التي تسبب الشهرة إلى الفرد "[2]

وبهذا فقد نقل الاهتمام من الشخصية المنتجة إلى العناية بالتقدير المعياري من زاوية رؤية المتلقي.

تبنى الشهرة . حسب هيرش . من قبل اعتراف الجماهير، وكذا المؤسسات دور فعال في تأسيس الشهرة كالمدارس والطباعة والصحف العامة.«الواقع أن تلك المؤسسات لا تشكل فحسب وجهات نظر الذات آرائها ففي حالات بعينيها، كما عندما تتم بطريق مصادفة ما صياغة رأي مخالف، سيرفض هذا لمجرد اختلافه عن المعهود.»[3]

---

* جوليان هيرش مهندس أمريكي ولد في 1922 م وتوفى في 24 نوفمبر 2003.عالم نفس أ مريكي ألماني، يعرف باعتباره أحد رواد علم النفس الاجتماعي والتنظيم والتطبيقي الحديث في الولايات المتحدة الأمريكية كانت له مجهودات في البحث الإجرائي والتواصل الجماعي وكانت إسهاماته الأساسية في مجال التواصل.

[1] المرجع السابق، ص: 91.

[2] المرجع نفسه، ص: 92.

[3] ينظر: جوليان هيرش، المرجع السابق، ص: 92.

ويعطي مثلا بالدارس لشكسبير منذ الطفولة فسيكون له الانطباع دائم عن هذه الشخصية يتمثل بالإعجاب والانبهار به.

03 . ليفين شوكنج Levin SchaKing

" يربط شوكنغ فهم الغاية التي يسلبها الفن بالصفة عامة والأدب بصفة خاصة بمحصلة الذوق العام الذي يؤانس ويرافق حركة الإبداع ومن هذا المنطلق هو يرى أن الحاجة لفهم الموروث الأدبي تقتضي تدارس الذوق الذي يصاحب صدور هذا الإرث في فتراته الزمنية، لكي ينسى تقديم انطباع شامل، وإسداد خدمة موضوعية للمسار لقراءاتي " [1]

فالذوق يتطور ويتغير حسب تطور وتغير العصور والأزمنة، كما أنه يرى أن مهمة المؤرخ هي دراسة الذوق وهذا ما سماه ب " تاريخ الذوق أو التربية الذوقية "، وقد كتب شونكنج قائلا: «ما لذي كان مقروءا في زمن بعينه لدى الطبقات المختلفة في الأمة، ولماذا كان مقروءا، هذا ما ينبغي أن يكون السؤال الأساسي لتاريخ الأدب»[2] وبهذا فقد أولى العناية بالقارئ بالدرجة الأولى بدل الاهتمام بصاحب الإنتاج.

في حين يؤكد أن للمؤسسات دور فعال في تكوين الذوق في فترة معينة، وقد لاحظ أن الثورات قد ساهمت بشكل كبير في تغيير الذوق لدى الجماهير، بالإضافة إلى هذا يرى أن للجماعات ويعني بهذا "الطبقة المثقفة " لها دور كبير في ترويج الذوق» فالفن يعتمد اعتمادا كليا على أولئك المروجيين للذوق كما أن قدرة هذه الجماعات على تأكيد ذاتها تعتمد

[1] بوسكين مجاهد، سوسيولوجيا التلقي القراءة وآليات الاشتغال، مجلة دراسات معاصرة، السنة 02، م 02 ع 02، يناير 2018، ص، 142

[2] روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، ص: 94

كذلك على مدى السلطة التي يستطعون ممارستها في البنية الإجتماعية وسلطة هؤلاء إنما يجدها بصفة مبدئية مدى هيمنتهم على " ألية الحياة الفنية ".»[1]

روبير إسكاربيت: Roberte Scaribt [2]

يعد إسكاربيت من أهم الباحثين المساهمين في هذا الاتجاه النقدي الذي تجاوز البحث في العلاقة بين الأدب والواقع، إلى تبرير هذه العلاقة من خلال التفاعل المتبادل بينهما ما يقتضيه توجه سوق الكتاب.

«إعتمد إسكاربيت على المنهج التجريبي في دراسة الأدب وما ينطوي عليه الإنتاج الأدبي وتسويق الأعمال الأدبية وما يرتبط بها من وسائل الاتصال والنشر والتلقي إلى جانب دراسة إقبال القراء على الأدب وعلاقته الأدباء بالمجتمع والجمهور القارئ وقد ركز في دراسته على ثلاث زوايا في العمل الأدبي هي: الكاتب والكتاب والقارئ.»

فقد يتبع إسكاربيت كل الخطوات سلكها بدءا من لحظة الإنتاج فالإنتهاء إلى مرحلة التلقي.

«في المخطط الذي يصفه لمجال الدراسة الاجتماعية للظاهرة الأدبية، يؤكد إسكاربيت أن مهمة علم اجتماع ليست هي دراسة الجانب الجمالي والفني في العمل الأدبي وإنما هي تحديدا دراسة جوانب الإنتاج والاستهلاك والتوزيع في الظاهرة الأدبية، على اعتبار أن الكتابة قد أصبحت في يومنا هذا مهنة تمارس في إطار النظم الاقتصادية، وأن الكتب قد صارت إنتاجا مصنعا، يتم توزيعه تجاريا ويخضع لقوانين العرض والطلب، وأن القراء هم الفئة المستهلكة لهذا الإنتاج.»[3]

---

[1]: روبير إسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرموني، عوبيدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1999، ط3، ص: 95

[2] أنور عبد الحميد الموسى، علم الإجتماع الأدبي، ص: 178.

[3] محى الدين أبو شقرا، مدخل سوسيولوجيا الأدب العربي، ص: 55.

تتمحور دراسة على ثلاثة ركائز أساسية وهي:

أ . الكتاب: يرى إسكاريبت أن تعريف الكتاب أمر شاق ومن بين التعاريف التي هي الأقرب إلى اليقين هو أنه: «عمل فكري منثور أو منظوم ذو حجم يجعل منه على الأقل مجلدا. »

«والكتاب يطرح مسائل عديدة يستحق كل منها بحثا مستقلا كتعدد عناوين الكتب، الموضوع منها والمنقول وكونها دليلا على الغنى العقل لمجتمع أو بلد ما، أشار الكتاب وتأثير مصونة في المجتمع أو طبقات معينة والحكم على قيمته وإقبال الناس على مطالعته واستهلاكه المحلي وانتشاره خارج حدود البلد. »[1]

كما أنه قام بإحصائيات حول الدول الأكثر إنتاجا عام 1961 م، وتوصل إلى سبب الإنتاج الكثيف هو تنوع الحياة الثقافية . عند المجتمع الروسي مثلا .

ب . الكاتب:

«الكاتب إنما يكتب لقارئ أو الجمهور من القراء فهو عندما يضع أثره الأدبي يدخل به في حوار مع القارئ، وللكاتب نوايا يريد الوصول إليها فهو يرى إلى الإقناع أو إلى المد بالإخبار أو إثارة أو التشكيك أو زرع الأمل أو اليأس»[2]

ويتناول إسكاريبت في هذا الصدد: تصنيف الكتاب، والأجيال الأدبية، والكاتب وانتماؤه الاجتماعي.

- تصنيف الكتاب

[1] المرجع نفسه، ص: 10.

[2] أنور عبد الحميد المونسي، علم الاجتماع الأدبي، ص: 183.

«الكتاب أنواع ليس من حيث اتجاهاتهم الفكرية بل من حيث الطابع الغالب على نتاجهم الذي يوفر لهذا النتاج عنصره الاجتماعي، فهناك كتاب يدور نتاجهم في طبقة المثقفين، وقد ترن أسماؤهم في أذان الأخرين إلا أن هؤلاء لا يشعرون بانجذاب إليهم، وهناك كتاب شعبيون قد لا يتوفر لهم الحظ بدخول تاريخ الأدب، وهناك كتاب آخرون يعنون بموضوعات تثير اهتمام الأطفال».[1]

- الأجيال الأدبية

حيث يمتد توظيف مفهوم الجيل مشروعيته من طابعه الإجرائي، يعنى بحصر سيرورة الإنتاج الثقافي.

- الكاتب وانتماؤه الاجتماعي:

ينتمي الكاتب إلى وسط اجتماعي معين وبيئة معية بتميزه عن غيره يتأثر بها ويتأثر فيه، وبناءا على الدراسة التي قام بها علم النفس البريطاني " هنري هافلوك إليس " Henry HaveLooK ELLis خصص فيها العناية بالانتماء الاجتماعي للكتاب، بناءا على هذا توصل إسكاريبت إلى أن «بعض العوامل الاجتماعية قد يكون لها تأثير فعال على توجيه النزعة الأدبية لدي بعض الكتاب كما أن للوراثة تأثير فعال في توجيه النزعة الأدبية لدى بعض الكتاب كما هو الحال عند بعض العائلات.....»[2]

[1] المرجع نفسه، ص: 11.

[2] روبير إسكاريبت، سوسيولوجيا الأدب، ص: 12.

ج . القارئ: «الكاتب والقارئ طرفا ن متلازمان فالكاتب هدفه أن يصل إلى القارئ إنه هذا الحوار الذي يقيمه الكاتب، سواء أكانت التأثير أم الإقناع أم الإعلام أم التعزية أم التحرير..... فإن هدفه محط حواره هو القارئ أو الجمهور.....»[1]

إن القارئ حالة أو هيئة، وفي معظم الأوقات يعبر عن نموذج تنشئة خلايا النص له دور هام، عن ماهية الاستهلاكية وأكثر من ذلك يتطلع إلى المشاركة الفعالة بمعية النص التي تفتح المنافذ إليه وتقبض على المصداقية المبثوثة في ثناياه

-جاك لينهارت: Jack Linhart

«تجيب جاك لينهارت عن سؤال سوسيولوجيا القراءة القراءة بقوله: يتمثل موقفي في تطور هذا المنهج ليس فقط كدراسة لشروط إنتاج النص الأدبي وصنعه وهذا ما فعلته في قراءتي السياسية لرواية روب غربيه وما فعله غولدمان في كتابه المعروف " الإله الخفي " وإنما أهتم بدراسة جوانب السيران الاجتماعي للنص وهذا ما أعالجه تحت اسم سوسيولوجيا القراءة.» [2]

يؤكد لينهارت أنه لا يستخدم مصطلحات مدرسة ياوس ومدرسة كونستانس أو المدرسة الألمانية، أن هذه المدارس اهتمت بالقارئ الضمني والخلفيات الجمالية والفنية والتاريخية للتلقي في حين يهتم لينهارت بالقارئ الحقيقي " المحسوس ".

وبناءا على هذا: «أما أنا فقد انخرطت منذ حوالي العشرين سنة في بحوث ميدانية حول القراءة، وهدفت ورائها إلى التحوير والتغيير نتيجة ممارسات القراءة.....»[3]

[1] أنور حبيب مونسي، علم اجتماع الأدبي، ص: 183.

[2] هاشم صالح، سوسيولوجيا القراءة حوار مع جاك لينهارت، مجلة كرمل، د.ط، ع: 36 . 37، 1يوليو 1990، ص 66، 67.

[3] ينظر، هاشم صالح المرجع لسابق، ص: 67.

وقد توصل إلى اختلاف كل بلد في تقسيم وتلقي هذه الرواية لهذا فهو يؤكد أن: «إذا ماردنا أن أردنا أن نفهم ماذا يعني الأدب كصيرورة إنتاجية وقرائية حية في مجتمع ما فإنه ينبغي علينا أن نطور منظورا سوسيولوجيا يشمل مجمل مراحل هذه السيرورة.»[1]

V- أدوات سوسيولوجيا القراءة:

اعتمدت سوسيولوجيا القراءة على أدوات أساسية ومكونات هامة وذلك من أجل تسويق المنتوج الأدبي، كما تعد هذه الأدوات بمثابة لوحة إعلامية التي تقوم بترويج العمل الأدبي ويمكن بعد ذلك تسويقه.

فمن خلال هذا سنحاول الوقوف على أهم مكونات سوسيولوجيا القراءة:

«فالقراءة السيوسيولوجية هي قراءة تجريبية تدرس ثلاث مكونات في عملية الإبداع هي: الإنتاج، التوزيع، الاستهلاك، هذه السوسيولوجيا روبير إسكاربيت"[2]

فالناقد روبير إسكاربيت ركز على ثلاث آليات في المنتوج الأدبي العمل . الكاتب . القارئ.

01 . الإنتاج الأدبي:

أضحى الإنتاج الأدبي بضاعة تستهلك، وفق معايير خاصة فيوجه إسكاربيت الإنتاج إلى القراء المستهلكين فهو يعتبره سلعة تجارية وفي هذا الصدد يقول: «إن الإنتاج الأدبي هو عمل جماعة من الكتاب الذين يخضعون عبر العصور لتغيرات شبيهة بالتغييرات التي تصيب الجماعات البشرية الأخرى كلها كالشيخوخة وتجدد الشباب والاكتظاظ السكاني، والخلو من السكان.....»[3]

[1] المرجع نفسه، ص: 67.

[2] جميل حمداوي، نظريات القراءة في النقد الأدبي، ص: 30.

[3] ألبيرتو مانغويل، تاريخ القراءة: تر سامي شمعون، دار الساقي، لبنان، 2001، ط1، ص: 45.

فالمبدع يبدع بحسب اختلاف المجتمع والزمن المعايش معه غير أن العمل الأدبي يتغير بتغير ثقافة المنتج وأنساقه.

«فالعمل الأدبي هو ذلك نتاج مكتوب للفكر لن يكون له وجود واقعي إلا حين يقرأ بالفعل، لأن الكتابة بغير القراءة هي أكثر من مجموعة أوراق ملوثة بالحبر».[1]

يمكن القول على الكاتب أن يكتب شيء له قيمة، كما يلزم أن يحتوي الكتاب على شيء قيم في جبه ومحتواه لكي يجذب القراء فإذا لم يجد الجمهور ما يستهلكه يصبح الكتاب بلا قيمة وبلا ثمن، فالسلع لا تتساوى من حيث الجودة والنوعية.

ومنه: «الأدب بهذا المعنى، مثله مثل أي بضاعة تجارية يمر بمراحل التصنيع التوزيع والاستهلاك ويتأثر بالسوق الاستهلاكي وبقانون العرض والطلب »[2]

فإسكاريبت ينظر إلى المنتوج على أنه سلعة تنتج من، أجل التسويق، فيرى الأدب منتوج أدبي ربما طبيعة الذوق الفردي الجماعي.

02 . الكاتب:

«يعتقد روبير إسكاريبت أن الكاتب إنما يكتب لقارئ أو لجمهور من القراء، إنما يكتب لقارئ أو لجمهور من القراء، فهو عند ما يضع أثره الأدبي، يدخل في حوار مع القارئ والكاتب ومن هذا الحوار نوايا مبنية يريد إدراكها، فهو يرمي إلى الإقناع أو إلى المد بالأخبار أو إثارة التشكيك أو زرع الأمل أو اليأس».[3]

الكاتب له دور مهم في عملية الإنتاج وذلك عن طريق معرفة الحيز الذي ترعرع فيه.

[1] شكري النجار، الاتجاهات الرئيسة في النقد الأدبي، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع 25، 1982، ص: 207.

[2] روبير إسكاريبت، سوسيولوجيا الأدب، ص: 21.

[3] جميل الحميداوي، نظريات القراءة في النقد الأدبي، ص: 31.

«الكاتب لا يتأثر بالمجتمع فقط، إنه يؤثر فيه أيضا والفن ليس مجرد إعادة صنع الحياة وإنما تكوين لها أيضا، وقد يصوغ الناس حياتهم حسب نماذج الأبطال وبطلات من صنع الحياة».[1]

فالكاتب يتأثر ويأثر في نفس الوقت، وذلك من خلال البيئة التي يعيش فيها فيستوحي من المجتمع تجاربهم الشخصية، وذلك من خلال البيئة التي يعيش فيها فيستوحي من المجتمع تجاربهم الشخصية، بالإضافة إلى ذلك قد يوفروا للمبدع مصادر إلهام وفرص للتعاون والتفاعل مع الآخرين في مجال الكتابة، فعندما يكون الكاتب متصل مع الجمهور يمكن أن يستفيد من المشورة ويطور من نفسه كمبدع، «الكاتب الناجح هو الكاتب الذي يعبر عما كانت تنتظره الفئة الاجتماعية والذي يكشف هذه الفئة نفسها وأحسوا بالمشاعر ذاتها، وعاشوا الطوارئ نفسها هو واحد من الانطباعات التي يذكرها غالبا القراء كتاب ناجح».[2]

وعليه فإن المبدع الناجح عندما يكون لديه القدرة على أعماله، يجب عليه عرض الكتابة للنشر عن طريق المشاركة في المعارض والمؤتمرات لجذب القراء.

03 . القارئ:

تسويق بعض الأعمال الأدبية تجاريا قد يكون بميول القارئ لبعض النصوص القائمة على اسم مؤلفها مما يخلق لها شهرة زائفة فيضفي لها بعدا استهلاكيا فتتنافس على قراءتها شريحة من كبيرة من القراء وتحصد نسبة عالية من المبيعات رغم بساطة قيمتها الأدبية.

[1] محي الدين أبو سقراء، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، ص: 60.

[2] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص: 57.

«جمهور القراء يختلف باختلاف الموضوعات والأسلوب فما تكثف مطالعته في قطاع اجتماعي معين يكون أقل كثافة في قطاع الأخر بل معلوما في غيره».[1]

المستهلك هو صاحب القرار والجهة المسؤولة في تحديد كل ما هو رائج أو غير رائج في الأسواق.

«القراءة التي تتم زمنيا بعد الكتابة والتي يقوم بها جمهور القراء بمختلف مستوياتهم الثقافية والإيديولوجية».[2]

وعليه يجب على المنتج أن يضع في عين الاعتبار جمهور القراء، فيضع في الحسبان نوعهم وعمرهم ومستواهم الفكري الثقافي.ومنه «القراء يشكلون جمهورا طبقيا لخصائصهم الديموغرافية الاجتماعية »[3]

وعليه يمكن تقسيم أنواع الجمهور على النحو التالي: جمهور مخاطب، جمهور وسط، جمهور واسع.

جمهور المخاطب: «يسمى الجمهور المحاور الحاضر في ذهن الكاتب، والذي لا يستطيع بناء موضوعه إلا إذا استحضره لحظة الكتابة. فمن أجله يكتب وهو عازم على إقناعه، وهو الرقيب الأول على نصه بحيث الكاتب عليه الحذف والإضافة فما يكتب.»[4]

جمهور الوسط: «فهو الذي يشاركه الكاتب في تفاصيل حياته اليومية بكل جوانبها النفسية والمادية وما يعتريها من تأثيرات، فهو يتقاسم معه همومه الاجتماعية وثقافية.»[5]

---

[1] روبير إسكاريبت، سوسيولوجيا الأدب، ص: 16

[2] محي الدين أبو سقرا، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، ص: 14.

[3] سليمان روبين، إنجي سوزان وكروسمان، القارئ في الجمهور والتأويل، تر: حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، بيروت، 2007، ط1، ص: 249.

[4] فدوى سباع، سوسيولوجيا القراءة الإجراء والأداة، م8، 1مارس 2021، ص: 727

[5] المرجع نفسه، ص: 727.

جمهور الواسع: «هو الذي يتعدى الحدود الجغرافية المكانية وكذا الزمنية لحياة الإنتاج الأدبي، فبعد انتشار في الوطن الأم وباللغة التي كتب بها أول مرة، يتحول إلى كائن عابر للقارات عن طريق الترجمة إلا أن لغات أخرى، محافظا على قمتيه بالرغم من تغير الأجواء التي ارتحل إليها. »[1]

ومنه يمكن أن نستنتج أن سوسيولوجيا القراءة تقف على ثلاث عناصر مهمة في العمل الإبداعي ويمكن رصدها على النحو التالي: الإنتاج الأدبي، الكاتب، القارئ.

تعتبر سوسيولوجيا القراءة اتجاه نقدي يهتم بدراسة العمل الأدبي، كما تركز على فهم العلاقة بين الصنيع الأدبي والمجتمع، فالهدف منها هو رصد كيفية تلقي القارئ للعمل الأدبي كونه شريك في عملية الإنتاج الأدبي.

تأثرت سوسيولوجيا القراءة بكل من الفلسفة الظاهرتية والتأويلية إذ كان الفضل في منحها مكانة مرموقة في العملية الإبداعية كما استندت في خلفيتها النقدية على "نظرية القراءة ""والتلقي وسوسيولوجيا" الأدب من خلال رد الاعتبار للقارئ.

تتركز سوسيولوجيا القراءة في آلياتها الإجرائية على ثلاث أقطاب أساسية: العمل الإبداعي . الكاتب . القارئ.

[1] المرجع نفسه، ص: 728.

الفصل الثاني:

تجليات سوسيولوجيا القراءة

عند حبيب مونسي

أدت نظريات التفسير الإجتماعي للأدب إلى ظهور ما أصبح يعرف في النقد الأدبي المعاصر بعلم إجتماع القراءة، والتي تبحث في الشروط المؤثرة لفعل القراءة، عبر التركيز على الإنتاج، التوزيع، الإستهلاك، وهذا ما يسمى بسوسيولوجيا القراءة. والتي شغلت كونها توجها نقديا، اهتمام النقاد

1– فعل القراءة:

تميزت التجربة النقدية لدى الدكتور حبيب مونسي[1] بالتنوع فقد شغلت القراءة مساحة كبيرة من مشروعه النقدي بداية من بوادر نشأتها إلى فترة احتكاكها بالمناهج النقدية والمعاصرة، حيث استطاع التأصيل لفعل القراءة وإعادة بلورته وفق رؤية خاصة به.

يعرض الناقد حبيب مونسي مفهوم تسلسلي دقيق للقراءة من خلال أعظم مصدر في الوجود وهو القرآن الكريم والذي يعد الأسبق في نزوله من الإنفتاح الأوروبي بقرون.

يستقي نظريته من الفعل "اقرأ" في الآية الكريمة من سورة العلق **{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}**

الناقد:

يعتبر ناقدنا أن فعل القراءة ملازم لفعل الكتابة فهو فعل إبداعي يتحقق عن طريق القلم الذي يعد وسيلة لتجسيد الخطي يكتشف بها ما لا يعلم فتتحول– القراءة من صورة معقولة باطنية إلى صورة محسوسة ظاهرية بواسطة الكتابة التي تضمن لها الإستمرارية.

[1] حبيب مونسي: أديب وناقد جزائري ولد سنة 1957، بزهانة ولاية معسكر، تحصل على الماجيستير من جامعة وهران سنة 1944، أستاذ جامعي في قسم اللغة العربية وأدابها، سيدي بلعباس ودرس بجامعة سعود بالرياض بالمملكة السعودية ثم عاد إلى الوطن وزاول التدريس بالجامعة الأصل من أهم مؤلفاته: فلسفة القراءة وإشكالية المعنى، فعل القراءة النشأة والتحول، القراءة والحداثة مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية، (01).

فالقراءة في بعدها الحضاري "تتجاوز المكتوب إلى محور العلامات والرموز"[1] أي لا تقتصر على النصوص المكتوبة فقول بل تتجاوز ذلك إلى قراءة الإشارة التي لها دلالة ومعنى وقراءة صفحات الكون المفتوحة تأملا وتفكرا وهذا الإعتماد على الملكة الفطرية التي وهبها الله عز وجل وعلى الإنسان وهي العقل.

"فالعقل الذي يعبر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي والرؤية فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات عديدة تشترك في المعنى أحيانا.."[2]حيث يدعوا النص القرآني العقل في الكثير من آياته إلى التفكر والتدبر وقراءة الموجودات فيحقره بشكل مستمر على النشاط والدينامية، كما أنه ينبذ الجهود والتقليد، وأمر بالقراءة لإكتشاف الذات والكون وتنمية ملكة التأويل، كما عبر عن العقل بألفاظ كثيرة "فهو الفكر، والنظر، والبصر، التدبر، والاعتبار والذكر، والعلم، وسائر هذه الملكات الفطرية التي تتفق أحيانا في المدلول...فهي حركات سلوكية تحركها إرادة لتغيير ما هو قائم بالفعل وما تجاوزه، فيكون العقل أخيرا ليس "مادة رمادية "وإنما: "نمطا معينا من السلوك، يسلك الإنسان في مواقف بذاتها فتكون الإرادة لفظا معنيا آخر من السلوك"[3].

جمع ناقدنا بين العقل وفعل "اقرأ" من منطلق أنهما يشتركان في نقطة واحدة وهي تحصيل الجديد فهذا الأخير لا يكون في وجود فعلي إلا من خلال العقل وكذلك القراءة لا تكون إن لم يجسدها عمل فهما يشتركان في صفة الإنتاجية.

"ويترتب على هذا الأساس أن "الفعل" أقدس في ذاته من الحاصل منه لأنه يؤس حركة مستمرة مثمرة تتوالى دون انقطاع"[4] يشير الناقد فيهذا السياق إلى فعل "الخلق" فالتدبر في الذات والكون هو نوع من خلق رؤية جديدة للعالم وتجاوز حدود الأشياء الظاهرية سعيا إلى

[1]حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، دار الأديب، د ط، وهران، الجزائر، ص 12.

[2]المصدر نفسه، ص 14.

[3]المصدر نفسه، ص نفسها.

[4]المصدر نفسه، ص 15.

اكتشاف وفهم يحيا به من دلائل ومعجزات كونية ومن وجهة نظر الكاتب تتلاقي كل من فعل الخلق وفعل القراءة في نقطة تشابه أساسية وهي أنهما يجسدان مع الاستمرارية والإنتاج نحو المستقبل، وهنا تتجلى تجسيد الحضارة الثقافية للوعي الممكن لا الوعي الواقع – على حد تعبير غولدمان.

رصد حبيب مونسي نشأة القراءة في الفكر العربي في خلفياتها التاريخية وكيف أن العقل العربي قد عاش فترة ظلم من قبل الكنائس التي كانت تحتفظ بالقراءة لرجال الدين إذ ظلت مرهونة بالنص الديني الذي كان ينحصر ضمن اللغة اللاتينية التي لا يجسدها سوى القسيسين.

مارست الكنيسة أساليب التظليل والتجهيل العامة إلى أن ظهرت المدرسة اللائكية سنة 1882 حاملة شعار القراءة للكل: "كحقبة اجتماعية تظافر لخلقها نظام متشابك من الدواعي الفردية، والاجتماعية، والاقتصادية والإدارية، لتحقيق وظيفة القراءة تجاوبا وتعقيدات مجالات الحياة المختلفة وارتباطها بالمكتوب، والذي يخلص القراءة من الاستهلاكية إلى الانتاج الفردي المنفلت من ربقة كل سلطة"[1] فقد أحدثت بدورها ثورة ضد الجمود الفكري الذي كان سائدا خلال تلك الفترة، حيث شهد التحول الحداثي تغيرا جذريا بدءا بمصطلح الفردانية واسترجاع المكانة والقيمة لذات التي كانت رهينة النص اللاهوتي والتحرر من قيوده نحو الانفتاح عن العالم الخارجي والتأويل بعيدا عن النص المقدس.

أشار حبيب مونسي إلى اعتماد إلى "عبد المالك منصور" عبر "غريماس" الذي أقر بإمكانية تعدد القراءات وجمعانيتها فكلما تنوعت خلفيات القارئ واختلفت إديولوجياته واختلفت القراءة "إن التجارب أثبتت أن النص الواجد يجب أن يظل مفتوحا إلى ما لانهاية، وأن كل

[1] المصدر السابق، ص 16.

قارئ يمكن أن يقرأه بمنظاره الخاص..."[1] وبهذا فقد يحمل النص الواحد أوجه كثيرة فيتعدد الفعل القرائي يتعدد الأشخاص وتعدد الأهواء وتعدد الثقافات واختلاف الأزمان والأمكنة.

لكل نص متعدد الجوانب ومتشعب الدلالات، يفهمه القارئ كل قدر ثقافته وفهمه.

وبالعودة إلى فعل القراءة تبين أن الفعل القرائي لدى حبيب مومني بشقيه العربي والغربي ارتبط بالعقل والاستيعاب والتفكير.

2- تعريف سوسيولوجيا القراءة عند حبيب مونسي:

لم يقوم حبيب مونسي بتصريح واضح حول مفهوم سوسيولوجيا القراءة بل قام بدراسة غربية للناقد جاك لينهارت مجيبا بذلك عن سؤال سوسيولوجيا القراءة بقوله "يتمثل موقفي في تصور هذا المنهج ليس فقط كدراسة لشروط إنتاج النص الأدبي وصنعه (وهذا ما فعلته في قراءتي السياسية لرواية "روب غريبة"، وما فعله "غولدمان" في كتابه المعروف الإله الخفي وإنما اهتم بدراسة جوانب السيران الاجتماعي للنص، وهذا ما أعالجه تحت اسم سوسيولوجيا القراءة"[2]

فتتمثل سوسيولوجيا القراءة عند جاك لينهارت بدراسة جوانب السيران الإجتماعي للنص، وبتحليل عملية القراءة وفق طريقة اجتماعية.

فسوسيولوجيا القراءة هي رحل النص من صورة في ذهن صاحبه إلى مادة في يد الناشر.

فيرى الناقد "حبيب مونسي" أن جاك لينهارت "يهدف إلى معرفة كيف يتعرض النص الأدبي للتحوير وللتغيير نتيجة ممارسة القراءة"[3].

---

[1] المصدر السابق، ص 27.

[2] المصدر نفسه، ص 58.

[3] المصدر نفسه، ص 58.

غير ذلك فقد قام حبيب مونسي بدراسة ميدانية تشمل كل من فرنسا وهنغاريا وذلك من أجل التعرف كيف ترى الثقافيات مختلفان النص، وقام أيضا بدراسة تحليلية لكي يعرف كيف يقرأ القارئ نفسه.

"ومؤخرا قمنا بدراسة ميدانية أيضا شملت ثلاثة بلدان هي: ألمانيا، إسبانيا وفرنسا، لكي نعرف كيف يقرأ القراء الكتاب نفسه"[1].

أما روبير إسكاربيت يرى المشكلة تكمل في "فعل القراءة" في حد ذاتها، وأيضا في طبيعة القراء فهناك قراء مثقفين وكما أن هناك قراء عاديين، فسوسيولوجيا القراءة عند روبير اسكاربيت هي ذلك التغيير والتحول الذي يطرأ على النص من خلال نوعين من القراءة "القراءة العارفة" و"القراءة الذوقية"

"فإن البحث في سوسيولوجيا القراءة يقيم جهده على أساس فعل واحد لدى طبقات مختلفة من القراء، لأن غرضه إدراك التحوير والتغيير الذي يطرأ على النص من جراء الممارسة القرائية جملة، فإن كانت عند اسكاربيت" تتمايز من خلال القراءة العارفة والقراءة الذوقية"[2].

يكتفي الناقد "حبيب مونسي" في سوسيولوجيا القراءة بالتنظير لها عند روادها "جاك لينهارت" و"روبير اسكاربيت" عن طريق المقارنة بين منهجيتهما، ولم يتطرق إلى الأعمال العربية التي تبنت هذه النظرية.

3 – الأدب مؤسسة اجتماعية:

يرصد لنا حبيب مونسي جملة من الارهاصات التي تعد ركيزة الطرح السوسيولوجي الذي يدرس الظواهر الأدبية في تفاعلها مع الظواهر الاجتماعية.

---

[1] المصدر السابق، ص 59.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 62.

على مقدمتهم مجهودات vico في كتابه "مبادئ العلم الجديد" الذي يؤكد فيه أن لكل حقبة زمنية ما نوع أدبي معين يسودها ويتماشى مع طبيعة ذوق الجمهور المتلقي، وبناءا على استقرائه يتبين أن هناك علاقة تأثير وتأثر بين النوع والواقع، فكل تطور وتغير يطرأ على المجتمع يستوجب تغير في الإنتاج الأدبي وتأثر الجمهور به، بناء على هذا يقول حبيب مونسي: "وهذه نظرة متقدمة تفتح ليس كل كون الأدب ظاهرة اجتماعية وإنما على كونه مؤسسة اجتماعية تتفاعل من خلال عاملي الزمان والمكان والظروف التطويرية للمجتمع"[1].

يشير ناقدنا أن هذا الطرح عبارة عن امتداد لنظرية ابن خلدون، فالكثير من الأدباء والنقاد الغرب تأثروا بالإنتاجات الأدبية العربية، حيث تأثر الفرنسي "أفونتين" بكتاب "كليلة ودمنة" واتخذت موضوعاته وسيلة للنقد الإجتماعي، كما أثرت رسالة الغفران للمعري في "دانتي" فألف الكوميديا الإلاهية، إضافة إلى هذا يعتبر ظهور قصص المغامرات في الآداب الأجنبية ناتج عن تأثرهم بكتاب ألف ليلة وليلة، إلا أن الفرد العربي كثيرا ما يقدس ابداعات الغرب ويحط من التراث العربي الأصيل، لكن على خلاف هذا ينظر حبيب موسي إلى النظريات الغربية نظرة بسيطة ويمجد الموروث العربي الزاخر بالقيم الفكرية والأدبية والنقدية، وبالعودة إلى مقدمة الكتاب يقول الناقد حبيب مونسي في نبرة ساخرة: "إذا كنا في مجال الأدب نردد كثيرا من النظريات ترديدا آليا خاليا من الوعي الذي يغوص عميقا في الجذور المؤسسة للنظريات ثم سارع لإجرائها مناهج وطرائق لتفسير النصوص في سذاجة كاملة، تجعلها تفصل فصلا بين الأدب والدين وأنشغل بالنا أبدا بالتفكير الهادئ في إمكانية كون الأداة التي نتعامل معها أنها صيغة في غير الحقل الأدبي"[2] ويقصد بهذا فئة الأدباء والنقاد المتغربين اللذين يفصل الدين عن المناهج الأدبية والنقدية وكل اتجاهات الحياة في نظرة أكثر تطورا إلى مدام دي ستايل في كتابها "الأدب في علاقته بالمؤسسات الإجتماعية" والتي

[1] المصدر السابق، ص 49.

[2] المصدر نفسه، ص 5.

وضحت أن الأدب يتأثر بالدين والعادات والقوانين الخاصة بالمجتمع، فالعمل الأدبي يتغلغل في بيئة اجتماعية معنية وجغرافية ويؤدي وظائف محددة، إصافة إلى مجهودات "تين" (البيئة، الجنس، الزمان) وإضافته عنصر الجنس إلى عنصر الزمان عند "فيكو" وعنصر العامل الجغرافي عند "مدام دي ستايل" بالإضافة إلى النظرية الماركسية ودور الجانب الاقتصادي في بناء المجتمع والعلاقة الجدلية بين البنى التحتية والفوقية.

(كل تغير يطرأ على الجانب الاقتصادي يحدث بالضرورة تغير في جانب الأدب والفن)

"واعتبار الأدب مؤسسة معناه النظر إليه كنظام متشابك من العلاقات داخل المنظومة الاجتماعية جملة"[1] وهذا التشارك ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية تتحكم فيه، لهذا فالأدب من هذا المنظور لا يعني البحث في إنعكاس الواقع داخل النص الأدبي بل التعامل معه –الأدب– "كحدث يفرض وجود مؤلفين وكتب وقراء أو بقول أم تقتضي وجود مبدعين وأثار وجمهور"[2].

بين الكاتب والقارئ والناشر هناك عقد منفعي حسب درجة استهلاك الأثر الأدبي م طرف الجمهور المستهلك، وهذا يشكل حلقة تواصل بين الفن والتجارة، فالأدب من هذا المنظور إنتاج يخضع لقانون السوق التطور التكنولوجي.

4 – الأدب إنتاج وعلاقة الكتابة والقراءة:

إن وصف الأدب بمؤسسة يقتضي وجود انتاج وهذا الأخير هو في طريقه للإستهلاك يخضع لقانون العرض والطلب والذي يفرضها خطين أساسيين من هذه العملية وهما المنتوج

[1] المصدر السابق، ص 50.

[2] روبيرت اسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عدموني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1999، ط3، ص 21.

"الكاتب والمستهلك " "القارئ"، فالإنتاج الأدبي عبارة عن سلعة لها مواصفات ومعايير تهيء حسب متطلبات المستهلك.

إن اختلاف القراء يؤدي بالضرورة إلى اختلاف أذواقهم وتوجهاتهم الاقتصادية والسياسية ومرجعياتهم الثقافية وهذا ما يؤدي إلى اختلاف في القراءات حسب متطلبات كل قارئ وحسب أفق انتظار كل متلقي يقول ناقدنا: "إن إدارة مثل هذه العمليات تتولاها شخصية أو مؤسسة لا هم لها إلا مردود السلعة... مستخدمة الوسائل المتاحة اليوم من سمعي بصري بغية تكييف الذوق العام والتأثير فيه..."[1].

يركز الناقد هنا على الجانب الاقتصادي لاعتبار الأدب سلعة وهو كيفية الإشهار له ومخاطبة لاوعي المستهلك والتأثير فيه فمن خلال تقنيات الدعاية تفرض عليه اقتناء كتاب ما دون أن تأبه لرغباته وفي هذا الصدد يصرح ناقدنا: "حتى نكاد نجزم اليوم أن ما ينزل السوق ليس هو ما يريده القارئ في كل الأحوال، بل هو مفروض عليه وعلى ذوقه"[2].

كما أن الدعاية لا تهتم بالقيمة الفنية والعلمية للأثر الأدبي فهدفها الأسمى هو صناعة شهرة بغض النظر عن الوسائل والطرائق المتبعة كما سلط حبيب مونسي الضوء على الشكل الأخير للعمل الأدبي في رحلته إلى القارئ ودور العوامل الخارجية (الخط، نوعية الورق، الحجم، الجودة، التغليف...) والذي يحمل مسؤوليتها للناشر والذي في كثير من الأحيان يتغافل عن هذه الجزئيات.

[1] المصدر السابق، ص 53.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

5- علاقة الكتاب بالقراءة:

ربط الناقد حبيب مونسي الكتابة بالقراءة "إذا كان فعل الكتابة يبدو في أبسط مظاهره، فعلا فرديا، يصدر عن ذات كاتبه فإنه لا يتحقق إلا من خلال فعل ملازم له: فعل القراءة"[1].

جعل حبيب مونسي فعل القراءة سابق لفعل الكتابة وأحيانا أخرى الكتابة سابقة للقراءة وأخرى يجعلهما متلازمان.

إن كان الكاتب يمرر رسالة من خلال ما يكتب يريد أن يفهم القارئ وأن يثير انتباه لذلك: "لم تكن الكتابة فعلا بريئا مسترسلا لأن الكاتب لا يأمن القارئ، ولا يطمئن على انتباهه المستمر لكل الكلمات والعبارات، فهو يعمد إلى زرع المثيرات التي تعمل عمل العنوان الناسفة التي تزيل بانفجارها حذر القارئ"[2].

يؤكد حبيب مونسي على التدخل الفعلي للكتابة والقراءة وأن جاكبسون يعتبر القارئ المقياس الأول في تعريف النص وذلك بتأثره بالخطاب الموجه إليه، فيستقر القارئ ليتضاعف عن مفعول الإثارة لديه "وقد ترتب عن تداخل فعلي الكتابة والقراءة الإنجاز الفعلي للنص واعتبر: "القارئ الموقع الحقيقي على شهادة حياة النص"[3].

6- أنماط القراءة عند حبيب مونسي:

ميز روبير اسكاربيت بين نوعين من القراءة من ناحية الأدب السوسيولوجي: قراءة "عارفة" وأخرى "مستهلكة".

---

[1] المصدر السابق، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص 235.

[3] المصدر نفسه، ص 24.

القراءة العارفة "تجاوزية، تنطلق من المقروء لتصدر عنه متطلعة للظروف الحافة كاشفة عن خباياه، محللة أدواته، منقبة عن مرجعياته التي تصنع قيمه الجمالية فهي تستثير فعل الكتابة من جديد كما وجدها "بارت" تضم تحت فعلها لذة النص ومتعته في آن واحد"[1].

إنها قراءة متميز يتميز القارئ، فيدخل من خلالها القارئ إلى أعماق النص الأدبي يساعده في ذلك ثقافته وتجاربه السابقة الأخرى.

كما أنها قراءة تجاوزية تنطلق من المقروء لتصدر عنه متطلعة للظروف الحافة، كاشفة خباياه.

كما هي: "قراءة واعية تهدف لتكشف القيم الجمالية في النص الأدبي، ينتهج القارئ فيها التساؤل والتماهي مع النص من أجل استنطاق الدلالات الخفية وراء الزخرف ليدرك الظروف التي تحيط بالإبداع الأدبي محللا وسائله"[2].

أما الثانية فهي مستهلكة: (الذوقية): "وهي لا تبارح الصنيع الأدبي إلا حين تسجل إعجابها أو عدمه، وهي ما يرصد الناشر في جمهوره فإن سجل الإعجاب ركن المؤلف يحثه على المزيد لزيادة الطلب، وإن سجل غير ذلك يوجس خيفة من المؤلف، وعمل على توجيهه أو انصرف عنه، فهي مقياس تجاري لا يخلو من خطر لأن الذوق نسبي تحكمه جملة من المعطيات تصنعها الدعاية والشائعة في كثير من الأحيان"[3].

فهي قراءة ذوقية تتمشى حسب ذوق القارئ، فهو يعتبر القارئ انطباعي يركز عليه الناشر من أجل زيادة عمليتي الطلب والعرض فهي قراءة تسطر عليه الدعاية والاشهار.

---

[1] المصدر السابق، ص 62.

[2] روبير اسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ص 107.

[3] المرجع نفسه، ص 62.

وهذا ما جعل القراءة استهلاكية محص فمتى حقق الناشر أرباحا يصبح المؤلف محط الأنظار، مهما كانت نوعية العمل.

فهي قراءة منبعها المقروء الكاشفة لخبايا النص، فهي تجمع بين اللذة والمتعة معا، كما تصنع مفاهيم معرفية.

ومن خلال البحث الذي قام به "جاك لينهارت" نرى أن أنماط القراءة تختلف عن نظيره روبير اسكاربيت انطلاقا ما جاء به رشيد بن حدو حاول ناقدنا "حبيب مونسي" أن يجمع هذه الأنماط في:

القراءة الظاهرتية:

"وهي التي تتوقف عن ظاهر النص ولا تتعداه، فترصد فيه جملة الأحداث والأفعال كما تتمظهر في الرواية، دون أن تعالجها بالتحليل والنقد وإبداء الرأي فهي تقنع بما يعرضه سطح النص في تمظهره الخطي، وكأنها قراءة محايدة لأنها تثير سؤالا ولا تطرح اشكالا فلا تستحسن ولا تستهجن"[1]

فهي قراءة سطحية، تقوم برصد الأحداث دون نقدها كما أنها حيادية، لا تمدح كما أنها لا تسيء.

القراءة المتماهية العاطفية:

"هي في أساسها قراءة متذوقة ما دامت تفرغ على سلوك الشخصيات والأحداث شيئا من ذاتها، فتقبل هذا الموقف وتشجب ذاك السلوك انطلاقا من ذوقها الخاص المتمركز على

[1] المرجع السابق، ص 64.

قيم مترسبة من فعل الإجتماعي، والجمالية الفنية الحاضرة في الذات القارئة حتى وإن أعوزها بالدليل وخانها البرهان فموقفها من الحدث يتسم بشحنة إيجابية من منظورها الخاص"[1].

فهي قراءة خاضعة لذوق القارئ الذي يجعل الموقف يتصف بالقيم الاجتماعية التي تغلب على قراراته.

القراءة التحليلية /التركيبية:

"هي درجة أسمى حيث يقوم التحليل على التفكيك، تفكيك أقسام النص وكشف علاقاته المتشبعة وبيان علله، وأسبابه، حتى تتبدى من خلال ذلك حقيقة الأفعال وطبيعة الأحداث في النسيج النصي"[2].

تقوم على مبدأ البناء والهدم لمراحل النص بهدف الوصول إلى الحقيقية وفق معايير القارئ نفسه ومن أجل إعادة تركيب النص يرى مونسي القراءة التحليلية مميزة في أنماط القراءة وذلك من خلال التقسيم الثلاثي الذي اعتمد عليه، ويمكن أن نجملها في الأنساق التالية:

أ – **النصف الأول:**" هو النظام الإجتماعي الاقتصادي والسياسي والأيديولوجي الذي يتخيله القارئ خلفية لأحداث النص والذي تموج فيه الشخصيات والثقافية للشريحة التي يعرضها النص"[3].

وهي عبارة عن مجموعة القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأيديولوجية الذي يتصور بها القارئ في ذهنه أثناء قيامه بناء النص.

[1] المصدر السابق، ص 64.

[2] المصدر نفسه، ص 65.

[3] المصدر نفسه، ص 66.

النسق الثاني: "وينبني على جملة من القيم الثقافية والأخلاقية وتتفرع إلى نوعين: "حيث يعنى الأول بجميع الأجوبة التي تتضمن إدانة أو لوما أو نقدا قائما على عدد من القيم المثالية مثل الثقافة والضمير والحرية والاتحاد ويعني الثاني إدانة أعنف لسلوك متصف بالضعف أو الجزع أو التردد وتنديدا بخمول وحيرة شخصيات محكوم عليها باسم تماسك النظام الأخلاقي "[1].

ويتمثل في مجموعة القيم الثقافية والأخلاقية كما تتفرع إلى نوعين الأول بنقد الأخلاق كالحرية والضمير، أما القسم الثاني يشمل السلوك لدى الأشخاص كالخمول أو الفزع.

النسق الثالث: "يتحدد تبعا لخط القراءة والتي تحاول أن تحدد الأفعال أو الأحكام بالمحيط والسببية الاجتماعية، أي أنها تستثمر معطيات الواقع لتبرير وتعليل الأحداث وفق مقاييس الطبقة الاجتماعية"[2].

فهذا النسق مرتبط بتحديد الاحكام والأحداث من خلال المعايير ومن هنا يتوصل الكاتب حبيب مونسي عن أن هذه الأنماط والأنساق تشكل خطورة، كما يبقى هذا الأمر بيد القارئ.

"المسألة معلقة على عاتق القارئ خارج النص في شبه انقطاع كلي، فالنص حال وقوعه بين يدي القارئ يصارع وجودا جديدا"[3].

يستخلص حبيب مونسي في الأخير:" أن القراءة فعل غير بريء إذ يبيت جملة من المفاهيم المترسبة عبر خلفيات النص الأدبي، ولا يشفع للمؤلف استحضار القارئ في عملية الخلق"[4].

---

[1] المصدر السابق، ص 67.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص 69.

وعليه نقول أن الناقد حبيب مونسي حاول تقديم فكرة شاملة عن سوسيولوجيا القراءة من خلال المراحل الذي قدمناه النقد إن كل من روبير اسكاربيت وجاك لينهارت الذين قدموا دراسات واسعة سوسيولوجيا القراءة.

7- القارئ عند حبيب مونسي:

يرى حبيب مونسي أن جاك لينهارت قدم أفكارا جديدة –استكمالا لبحوث- اسكاربيت فقد تجاوز دراسة الأدب كظاهرة اجتماعية بالإعتماد على دور الكاتب والقارئ والنص إلى الإهتمام بفعل القراءة و طبيعتها وشروط تحقيقها وهذا يستدعي البحث عن أنواع القراء ما دامت القراءة تختلف من قارئ لآخر.

يطلق لينهارت مصطلح الجمهور كل القراء للدلالة على مجموعة من الأشخاص تعرضوا لتأثيرات مختلفة من وسائل الإعلام بمختلف أشكالها يعرض مونسي أنواع الجمهور عند جاك لينهارت وهي ثلاثة أصناف:

1- الجمهور المخاطب: هو الجمهور الحاضر في ذهن الكاتب لا يمكن بناء موضوعه إلا حين يتم استظهاره لحظة الكتابة و"لأجله يضع المؤلف صنيعه وتتسم محاورته بالقصدية بغية الاقتناع"[1] أي تتكون بين القارئ والكاتب علاقة حوار يسعى الكاتب فيها جاهدا إلى اقناعه.

2- الجمهور الوسط: هو الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه المؤلف والذي يؤثر فيه ويتأثر به ويستقي منه طبعه وطباعه وذوقه وتوجهاته، ويتقاسم معه همومه الإجتماعية والثقافية وهذا يتجسد في عمله الأدبي الذي يجسد همه ورسالته "فكل صنيع لا بد له أن يحمل هموم هذا الوسط وأماله ونبوءاته"[2].

[1] المصدر السابق، ص 59.

[2] المصدر نفسه، ص 60.

وتتشكل هذا الجمهور من عدة بنى داخلية هي:

أ – اللغة: باعتبارها وسيلة تواصل يشترك فيها جماعة ما والتي تسهل على الكاتب الإفصاح عن مقاصده وتوصيل رسالته دون أن يتلبسها غموض ولا إبهام "ذلك ما يفسر إقبال طبقة ما على صورة المعاناة اليومية وإما على صورة الآمال التي تسكنهم جماعة وفرادى"[1] فاللغة تعكس توجهاته والفكرية والثقافية وتمثل ذاته وهويته.

ب – الثقافة: هي عبارة عن المبادئ التي يتميز بها كل فرد والذي اكتسبها نتيجة إندماجه مع واقعه الاجتماعي من خلال اللغة والقيم والتوجهات التي يفرضها المجتمع.

ج – البدائة: "هي مجموعة الأفكار والمعتقدات والأحكام القيمية التي يفرزها الوسط فيتقبلها كأمور بديهية لا تحتمل التبرير ولا الاستدلال"[2].

3 – الواسع: هو الذي يتعدى الحدود الجغرافية والزمنية ويتلقى انتشار على نطاق واسع بفائدة الترجمة إلى لغات أخرى محافظا بذلك على جوهره فلغته الأم.

يقر "حبيب مونسي" أن سوسويولوجيا القراءة توجه نقدي يبحث في صميم العلاقة الأدبية وذلك بالاهتمام بالأقطاب الثلاثة: الكاتب، العمل الأدبي، القارئ، كما أشار الجوانب الاقتصادية والسياسية للمجتمع واعتبار الادب مؤسسة اجتماعية تتحكم في دوق القارئ وسبب ميله لمؤلفات كاتب معين دون غيره فالإيديولوجيا لها تأثير كبير كل القارئ، حيث تؤدي إلى اختلاف الجمهوري القارئ وذلك حسب ميولاتهم وثقافتهم وخلفياتهم الفكرية وهذا ما تحاول سوسيولوجيا القراءة البحث فيه وهو كيف يستقبل القارئ العمل الأدبي.

كما تحدث "حبيب مونسي" عن قنوات انتشار الإبداعات الأدبية عبر وسائل الإعلام المتعددة والإشهار ساهم في دعم الإبداع سلبا من خلال تجميل الرديء وتشويه الجميل.

---

[1] المصدر السابق، ص 60.

[2] المصدر نفسه، ص 61.

خـــاتمة

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث الموسوم بـ"سوسيولوجيا القراءة عند حبيب مونسي"، نصل إلى عرض أهم ما توصلنا إليه من نتائج في الفصول السابقة:

- سوسيولوجيا القراءة اتجاه نقدي يهتم بدراسة العمل الأدبي، كما تركز على فهم العلاقة بين النصوص والمجتمع وهدفها البحث في كفيفية تأثير النص بالظروف الاجتماعية.
- جعلت سوسيولوجيا القراءة الأدب سلعة تستلزم معرفة مسبقة بالسياق الاجتماعي الذي تتوجه إليه.
- تعتبر القراءة عند "حبيب مونسي" مشروع حضاري متكامل يجب تنشيطه وتفعيله لاستحداث التقدم والتغيير على مستوى الجانب الفكري والنقدي العربي.
- حسب رؤية "حبيب مونسي" فالقراءة فعل إبداعي يؤدي بصاحبه إلى تحقيق مبتغاه وليس فعلا استهلاكيا فحسب.
- يعارض "حبيب مونسي" تبعية الفرد العربي العمياء للغرب ويدعو في مقابل هذا إلى ضرورة العودة إلى التراث العربي النقدي والنص القرآني.
- التماس المرجعية الدينية عند "حبيب مونسي" في تحليله لفعل القراءة من خلال رجوعه المتكرر للنص القرآني.
- تهتم سوسيولوجيا القراءة عند مونسي بالقارئ من منطلق أنه يعد ركيزة من ركائز العملية التواصلية بين النص والعالم الخارجي لهذا من خلاله تتحقق مقصدية النص الاجتماعية التي ترى في الكتابة كما القراءة نشاطا إنسانيا منتجا قابل للتجديد مع كل تغير يصاحب المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم برواية ورش**

- **المصادر:**

1. حبيب مونسي، نظريات في النقد العربي المعاصر، دار الأديب، وهران،دط،2007.

- **المراجع:**

1/- الكتب بالعربية:

2. أنور عبد الحميد الموسي، علم الاجتماعي الأدبي (منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، لبنان، 2011، ط1.
3. بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1.
4. جميل حمداوي، نظريات القراءة في النقد الأدبي، حقوق الطبع محفوظة، 2015، ط1.
5. حسن الواحد، في المناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، تونس، 1984، ط1.
6. سامي إسماعيل، جماليات التلقي، المجلس الأعلى الثقافة، مصر، 2002، ط، ص 84.
7. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ط3.
8. سعيد يقطين، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي، دار البيضاء، المغرب، 2005، ط1.
9. شرفي عبد الكريم، من الفلسفات التأويل إلى نظريات القراءة.
10. عادل مصطفى، مدخل إلى الهيرمنيوطيقا، نظرية التأويل، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2003، ط1.
11. عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر بيروت لبنان، 2001، ط1.

12. عبد الغني بارة، الهيرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل التأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، 2008، ط1.
13. عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، منشورات إحتلاف، الجزائر، 2007، ط1.
14. عبد الله إبراهيم، علم اجتماع السوسيولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط2.
15. عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، القاهرة، 1999، د. ط.
16. علي حرب، قراءة عالم يقرأ.نقد القراءة، الفكر العربي المعاصر، بيروت لبنان، 1988، د.ط.
17. غنيمة كولوقلبي، نظرية التلقي الإبستمولوجية وعلاقتها بنظريات الاتصال، دار التنوير، الجزائر، 2013، ط1.
18. كريمة صافر، مقدمة في علم الاجتماع، النشر الجامعي، تلمسان الجزائر، 2017، د.ط.
19. محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين مذاهب العربية الحديثة وترثنا النقدي، دار الفكر العربي، 1996، ط1.
20. مراد حسن فطوم، التلقي في النقد العربي, منشورات الهيئة العامة السورية دمشق، 2013، د. ط.
21. مصطفى عمراني، مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ط1.
22. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 2002، ط3.
23. نادر كاظم، مقامات والتلقي، دار الفارس، الأردن، 2003، ط1.

24. الناصر عبد الأوي، التواصل والحوار، دار الفاربي، لبنان، 2013، ط1.
25. ناظم عودة حضرة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
26. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة ,آليات التأويل، المركز الثقافي، د.ن، ط4.
27. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي (في ضوء المنهج البنيوي)، دار الغارابي، بيروت لبنان، 2010، ط3.

2/- المراجع المترجمة:

28. ألبيرتو مانغويل، تاريخ القراءة: تر: سامي شمعون، دار الساقي، لبنان، 2001، ط1.
29. إيزر، فعل القراءة (نظرية جمالية التجاوب في الأدب)، تر: حميد لحميداني، الجيالي كدية، مكتبة المناهل، البيضاء المغرب، 1995، د.ط.
30. بول آرون وألان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، تر: محمد علي مقلد، دار المطبوعات الجديدة، فرنسا، 2005، ط1.
31. جاك لينهارت، سوسيولوجيا القراءة، مجلة الكرمل، فلسطين، العدد: 36 . 37، يوليو 1990.
32. جون بول سارتر، ما الأدب، تر: الدكتور محمد غنيمي هلال، القاهرة مصر، د، ط.
33. روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2000، ط1.
34. روبير إسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، تر: أمال أنطوان عرموني، عوبيدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1999، ط3.
35. رولان بارت وآخرون، نظريات القراءة، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار اللادقية، سوريا، 2003، ط1.

36. سليمان روبين، إنجي سوزان وكروسمان، القارئ في الجمهور والتأويل، تر: حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، بيروت، 2007، ط1.

37. فولفغانغ ايزير، فعل القراءة نظرية جمالية التجارب (في الأدب)، تر: حميد الحميداني، الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، الدار البيضاء، المغرب، د.ط.

38. هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر، رشيد بن حدوا، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016، ط1.

3/- المعاجم:

39. إبن منظور لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، ج2، (ذ.ف)، دار لسان العرب، بيروت لبنان، ط1.

40. ابن منظور، لسان العرب، مجلد 01، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2013.

41. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ط2.

4/- المجلات:

42. بوكسين مجاهد، سوسيولوجيا التلقي/القراءة وآليات الإنشغال (مقاربة في المرجعية، الأدوات القرائية)، مجلة دراسات المعاصرة، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، م02، ع02، يناير 2018.

43. حنة أحمد، قردان الميلود، فعل القراءة عند حبيب مونسي من خلال كتابه نظريات القراءة في النقد المعاصر، مجلة المعيار، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، م13، ع02، ديسمبر 2022.

44. سميرة حدادي، جمالية التلقي . افتراضات ياوس وإيزير، مجلة الأدب، جامعة محمد لمين، باغين، سطيف الجزائر، م17، ع1، ديسمبر، 2017.

45. شكري النجار، الاتجاهات الرئيسة في النقد الأدبي، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع 25، 1982.

46. فدوى سباع، سوسيولوجيا القراءة الإجراء والأداة، م8، 1مارس 2021.

47. مرزوقي بدر الدين، المفهوم السوسيولوجي)مقاربة نقدية لبعض أبرز التعاريف الغربية المعاصرة)، متون، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة الجزائر، ع4، ديسمبر 2017.

48. هاشم صالح، سوسيولوجيا القراءة حوار مع جاك لينهارت، مجلة كرمل، د.ط، ع: 36 . 37، 1يوليو 1990.

5/ الرسائل والمذكرات الجامعية:

49. صباغ إيمان، نظرية التلقي في النقد العربي المعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2016.

50. فاطمة نصير، نظرية القراءة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة سكيكدة.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان.....

إهداء.....

مقدمة:.....أ

المدخل

الفصل الأول: نشأة سوسيولوجيا القراءة

I- سوسيولوجيا القراءة.....**Erreur ! Signet non défini.**

I-1 مفهوم سوسيولوجيا: sociologie.....16

1-1 . لغة 16

2-1 اصطلاحا 17

I-2-مفهوم القراءة.....18

1-2 لغة:.....18

2-2-اصطلاحا:.....19

II . مفهوم سوسيولوجيا القراءة: 20

III- الأصول الفلسفية والنقدية لسوسيولوجيا القراءة:.....22

III-1- " الأصول الفلسفية ":.....22

1-1- الظاهرتية.....22

1-2- " الهيرمينيوطيقا" (التأويل):.....26

III-2 "الأصول النقدية ".....29

1-2 نظرية القراءة والتأويل:.....29

2-2 سوسيولوجيا الأدب.....34

IV سوسيولوجيا القراءة والنشأة:.....37
1 . ليولوقينتال: "Lealowenthal "..... 37
02 . "جوليان هيرش" Julian Hirsh..... 38
03 . ليفين شوكنج Levin SchaKing..... 39
روبير إسكاربيت: Roberte Scaribt 40
-جاك لينهارت: Jack Linhart*..... 43
V- أدوات سوسيولوجيا القراءة:..... 44
01 . الإنتاج الأدبي:..... 44
02 . الكاتب:..... 45
03 . القارئ: 46

الفصل الثاني: تجليات سوسيولوجيا القراءة عند حبيب مونسي

1- فعل القراءة:..... 50
2- تعريف سوسيولوجيا القراءة عند حبيب مونسي:..... 53
3 – الأدب مؤسسة اجتماعية:..... 54
4 – الأدب إنتاج وعلاقة الكتابة والقراءة:..... 56
5- علاقة الكتاب بالقراءة:..... 58
6- أنماط القراءة عند حبيب مونسي:..... 58
7- القارئ عند حبيب مونسي:..... 63
خاتمة:..... 66
قائمة المصادر والمراجع:..... 68
فهرس المحتويات:..... 74

الملخص :

سوسيولوجيا القراءة اتجاه نقدي تهتم بالقراءة كمقياس تجاري تِؤثر على النص كما تؤثر على انتاج الكاتب وتوجهه ، تدرس سوسيولوجيا القراءة في بحثها الإجرائي صميم العلاقة بين النص والقارئ من خلال تحليل القراءة كما ترصد صيرورة الإنتاج ، أي منذ أن يحطط الكاتب ويستحضر نوعية القارئ أو القراءة الذي يكتب من اجلهم ،معتمدا بذلك على مجموعة استراتجيات مساعدة التي توجه كتابته ، لتصل إلى القارئ الذي يحاول بدوره إنتاج نوع من القراءة المبنية على الفهم الصادرة من شخصية التي تعتبر بدورها عنصر من المجتمع .

ساهم الناقد الجزائري حبيب مونسي في التعريف بسوسيولوجيا القراءة وعرض ارهصاتها الأولى كما اهتم بمصداقية القارئ في كيفية تلقيه للعمل الأدبي إذ توصل أن العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية لها تأثير كبير في ذوق القارئ

فالقارئ عند حبيب مونسي ناقد إذ يكون وسطا بين العمل والمبدع والجمهور كونه يتميز بقدرة فائقة على بناء تصوره للحقيقة الإبداعية وذلك لأنه وراء هذا الإبداع .

Abstract:

The sociology of reading is a critical trend concerned with reading as a commercial standard that affects the writer's production and direction. In its procedural research, the sociology of reading studies the core of the relationship between the text and the reader through the analysis of reading, and it also monitors the process of production.

That is , since the writer plans and brings to mind the type of reader or reader for whom he is writing , relying on a set of auxiliary strategies that guide his writing , to reach the reader , who in turn tries to produce a type of reading based on understanding emanating from a character who , in turn , is considered an element of society.

The Algerian critic Habib Mounsi contributed to introducing the sociology of reading and presenting its first foundations. He also paid attention to the reader's credibility in how he receives the literary work, as he concluded that political, social, and cultural factors have a great influence on the reader's taste.

According to Habib Munsi, the reader is a critic, as he is a mediator between the work, the creator, and the audience, as he is distinguished by his superior ability to build his perception of the creative truth, because behind this creativity.